

تطور الأركان التنظيمية للحركة المهدية خلال سيطرتها على السودان (1881-1889م)

كايد كريم الركيبات¹، إبراهيم فاعور الشريعة²

ملخص

تهدف الدراسة إلى تحديد الأركان التنظيمية التي اعتمدت عليها الحركة المهدية لتنظيم شؤونها الداخلية، ودور هذه الأركان في دعم مقومات وجود الحركة، وكيفية تكوين أركانها الأساسية، حتى اصطبغت بالصفة الدينية التي عرفت بها. ومحاولة للكشف عن مدى توافق هذه الأركان مع ميول ومشاعر السودانيين الذين ناصروا هذه الحركة. وتبين لنا من خلال هذه الدراسة أن الحركة المهدية ممثلة بزعيمها محمد المهدي، تمكنت من توظيف الجانب العقائدي الصوفي لدى أنصارها في صياغة القواعد الناظمة للعلاقة بين الفرد والحركة، ووظفت المفاهيم السياسية الإسلامية المتعلقة ببناء الدولة لخدمة هذا الغرض مما أكسب الحركة حالة من التأييد لدى شريحة واسعة من المجتمع السوداني، إذ بذلت كل طاقاتها في سبيل إنجاح الحركة وتحقيق أهدافها الكبرى، المتمثلة بتحرير البلاد من السيطرة الأجنبية، وإحياء المشاعر الدينية لدى أفراد المجتمع. واعتمدنا في دراستنا هذه على منهج البحث التاريخي، الذي مكنا من قراءة الروايات التاريخية المستنبطة من المصادر والمراجع التي لها صلة بالموضوع، وتحليل هذه الروايات والأحداث الواردة فيها لاستكمال جوانب الدراسة.

الكلمات الدالة: الحركة المهدية، السودان، محمد المهدي، الأركان التنظيمية، الخرطوم، الحكم المصري.

المقدمة

شكلت الحركة المهدية في السودان حالة فريدة من حالات التجنيد العقائدي للأفراد، في مواجهة السياسات التي فرضتها الحكومة المصرية على المواطنين السودانيين، عندما شرعت في تنفيذ المشاريع الإصلاحية التي ألزمتها بريطانيا بتنفيذها، لتخطي الصعوبات المالية التي تعاني منها.

وانعكس الضغط البريطاني على الحكومة المصرية، على الأحوال المعيشية للمواطنين السودانيين، الخاضعين للحكم المصري، فقد فرضت عليهم الضرائب واستخدمت في حقهم مختلف الأساليب لتحصيلها، وتأثرت مختلف طبقات الشعب السوداني من الإجراءات، التي اتخذتها الحكومة لتحقيق أهدافها، وبدت على الشعب السوداني علامات النعمة على الحكومة المصرية التي تدير البلاد، من خلال الاستعانة بعناصر أجنبية، شغلوا المناصب العليا في الحكومة.

وفي ظل هذه الظروف، قدم (محمد أحمد عبد الله) نفسه على أنه المهدي المنتظر، الذي بُعث ليخلص الناس من الظلم والتعسف الذي لحق بهم، متسلحاً بسلاحين شكلا على الدوام اخطر ما يمكن أن تواجه به أمة، أو يُحكم به شعب وهما: سلاح جهل العامة وقلة ثقافتهم، والتمثل ببساطة المجتمع السوداني، وتصديقه بالخرافات والأساطير التي أوجدتها الطرق الصوفية التي يدير كل منها شيخ طريقة، ويطوعوا الدين على هواهم. والسلاح الثاني هو الحكم الديني المتعصب، فمن خلاله يمتلك الحاكم سلطة مطلقة، توجب على أتباعه تنفيذ أوامره بدون تردد، وكلما ادعى هذا الحاكم قوة صلته مع الله كلما كان انجذاب الأتباع حوله أكثر، علاوة على ما كان يأمل الأفراد من تحقيقه من المكاسب المادية ممثلة بالغنائم والمكاسب المالية والمادية التي يطمحوا بالحصول عليها بعد انخراطهم في هذه الحركة.

وتمكن المهدي من خلال هذه الدعوة أن يؤلف لنفسه جيشاً وأنصاراً، تمكن من خلالهم أن يفرض إرادته، ويحل مشكلة السيطرة الأجنبية على السودان والمعاناة التي يعانيها أهله، بخلق مشكلة أكبر تمثلت بتوريث خليفته دولة دينية، وطموحات توسعية عانى الشعب السوداني كثيراً من ويلاتها. لذا اعتبرت الحركة المهدية في نظر البعض أنها حركة دينية سلفية، وبعض آخر اعتبرها حكماً مستبداً استغل تحت الشعارات الدينية، ومنهم من اعتبرها حركة وطنية، فرضت وجودها الظروف الصعبة التي يعاني منها

¹ طالب دكتوراه، الجامعة الأردنية؛ ² كلية الآداب، الجامعة الأردنية.

تاريخ استلام البحث 2018/9/16 ، وتاريخ قبوله 2019/7/28

الشعب السوداني، فاتخذت الحركة من الرابطة الدينية للشعب السوداني أداة مهمة لقيامها. ومن هنا جاءت هذه الدراسة للبحث في مقومات وجود الحركة، وكيف تكونت أركانها الأساسية، حتى اصطبغت بالصفة الدينية التي عرفت بها. ومحاولة للكشف عن مدى توافقها مع الميول والمشاعر الدينية لدى السودانيين، والأسباب التي دفعتهم لبذل أقصى مجهود لإنجاح هذه الحركة.

أوضاع السودان السياسية قبل الثورة المهدية:

شهد السودان حالة من الصراع مع مصر، استمرت لأكثر من نصف قرن، حتى خضع بالكلية للحكم التركي المصري، الذي شنت أول حملاته العسكرية في العام 1821، التي أطلقها الخديوي¹ محمد علي باشا (1769-1848)، آملاً العثور على الذهب من مناطق سنار السودانية، ومحاولة منه ضم ما يمكنه ضمه من الرجال السودانيين لصفوف جيشه الذي يرغب بتنظيمه وفقاً لتنظيم جيوش نابليون في فرنسا، ومن الأسباب الأخرى التي كانت ضمن اعتبارات محمد علي باشا للاستيلاء على السودان، مطاردة المماليك الذين لازوا بالأراضي السودانية بعد مواجهاته معهم، وإلى جانب هذه الأسباب أيضاً طموحات محمد علي باشا، باستكشاف منابع النيل، والسيطرة عليها، لخدمة القطاع الزراعي في مصر، وتوسيع نطاق التجارة من خلال استغلال الموارد الطبيعية في السودان (شقيير، 1981).

وفي عهد الخديوي إسماعيل (1863-1879)، اصدر أمراً في شهر شباط/ فبراير 1874، يقضي بتعيين الضابط الانجليزي تشارلز غوردون² Charles Gordon، حاكماً عاماً على عموم السودان (شقيير، 1981)، وبحكم هذا التعيين اسند غوردون المناصب الإدارية المهمة في السودان لعدد من الأجانب ليعملوا معه، ويساعدوه في إدارة السودان، فقد عين إدوارد شنترز Eduard Schnitzer - عرف بأمين باشا - حاكماً لمديرية خط الاستواء، كما عين رومولو جسي Romolo Gesse حاكماً على مديرية بحر الغزال - وتولى حكمها بعده فرانك لبتون Frank Lupton - وعين شارل ريجولية Charles Riglolet مديراً لإدارة، وعين مسيداليا Messedaglia مديراً للفاشر، وعين إملاني Meliani مديراً لكبكية، وعين رودولف سلاطين Rudolf Slatin مفتشاً مالياً - وعُين لاحقاً مديراً لدارفور - وعين جيكلار Gokler مديراً عاماً لمنع تجارة الرقيق، وعين زرونجن Zerongen مفتشاً للصحة، وعين فريدرك روسي Frederick Rosset حاكماً على مديرية دارفور (شبيكة، 1991؛ حسين، 2013).

فكانت هذه المجموعة الحاكمة تمثل في نظر السودانيين حكماً أجنبياً مفروضاً عليهم، غايته تحقيق المصالح المصرية في السودان على حساب الشعب السوداني الذي يعاني الفقر والتخلف.

وإلى جانب شعور السودانيين السلبي تجاه الإدارة الأجنبية التي تحكم بلادهم، لم تكن الحكومتان البريطانية والمصرية راضيتان عن الأوضاع في السودان، وهذا الحال استدعى إرسال العقيد ستيوارت Stewart خلال المدة 1882-1883، لتقديم تقريراً عن الأوضاع العامة في السودان، وتضمن تقريره حين عودته من هذه المهمة أن الإدارة الحكومية في السودان سيئة، وتتفشى الرشوة والسرقة في أوساط الموظفين، وأن التجار وأصحاب النفوذ يعدون البلاد ملكاً لهم ويصنعون فيها ما يريدون، وأن مساعي القضاء على تجارة الرقيق ضعيفة جداً (Cromer, 1916).

وننتج عن سياسة غوردون وإدارته للسودان عدداً من المشاكل، منها تنامي العداء له ولإدارته، من طرف تجار الرقيق، والمنتفعين من هذه التجارة، بعد وضع القيود الصارمة لمكافحتها، واستياء العديد من الموظفين الذين ابعدوا عن مناصبهم، كما أثارت إجراءات غوردون الرامية إلى فصل ميزانية السودان عن مصر، استياء الدائنين الذين كانوا يأملون في أن تساهم الضرائب المفروضة على السودان في جزء من عبء الديون المترتبة على مصر، وإن المصريين المهتمون بالشؤون القومية قد ناصبوا غوردون العداء، لأنهم كانوا يعتقدون أنه السبب وراء عدم وصول النفوذ المصري ل منابع نهر النيل (شبيكة، 1991).

وأسهمت الوسائل التعسفية التي اتخذتها الحكومة لإدارة شؤون البلاد، كإدخال بعض النظم الإدارية المتعلقة بتجنيد السودانيين في وحدات الجيش، وتقرير تشريعات جديدة تتعلق بالتجارة والضرائب (يحيى، 1959)، واحتكار الحكومة لتجارة العاج، واستنثارها

¹ الخديوي كلمة فارسية تعني (سيد)، وكان لقب الخديوي يأتي لتمييز بعض السلاطين في الدولة العثمانية ببعض المميزات المتعلقة بالحكم الذاتي في منطقة نفوذه، وتلقب بهذا اللقب الخديوي إسماعيل ومن بعده الخديوي توفيق ثم الخديوي عباس، وكان آخر من تلقب بهذا اللقب في مصر (الكليالي، 1990).

² تشارلز غوردون (1833-1885): ضابط في الجيش البريطاني، التحق بالخدمة العسكرية عام 1852، وفي العام 1860 سافر للصين وخدم مع الجيش الصيني، وعاد للخدمة في الجيش البريطاني سنة 1865 وبقي إلى أن تم تعيينه من قبل الخديوي إسماعيل حاكماً عاماً على البلاد الاستوائية، (شقيير، 1981).

بالأرباح التي كانت تعود على أصحاب هذه الحرفة، الذين كانوا يمثلون سادة السودان الحقيقيون، إلى اختلال النظام الاجتماعي والاقتصادي في المجتمع السوداني (شليبي، 1979).

وبعد انتقال الحكم في مصر للخديوي توفيق (1852-1892)، وممارسة مجلس النظار المصري الضغط على غوردون، للحد من صلاحياته الواسعة، قرر غوردون الاستقالة من منصبه في كانون ثاني/يناير 1880، وغُين مكانه محمد رؤوف حكمداراً³ للسودان (شبيكة، 1991).

ومن الأخطاء التي وقعت بها هذه الإدارة الحكومية المرتكزة على العنصر الأجنبي تجاهلها للمشاعر الدينية للسودانيين، واستهتارها بالتقاليد والقيم الأخلاقية للمجتمع السوداني، وسماحها للبعثات التبشيرية بممارسة نشاطاتها في السودان بشكل رسمي، وتحت حمايتها الرسمية (إبراهيم، 1999). وإن كانت هذه الجهود التبشيرية للكنائس المسيحية تشمل في برامجها كل إفريقيا، إلا أن مناطق جنوب السودان كان لها أهمية كبيرة في نظرهم، لأنها كانت تمر خلال تلك المدة بحالة عامة من القبول الشعبي لدى قبائل الجنوب الوثنية بالدخول في الإسلام، وإن كان هذا الدخول اسمي أكثر منه إسلاماً عقائدياً (Viera, 2007)، إلى جانب ذلك ساءت الأوضاع الاقتصادية في السودان من خلال شيوع الرشوة والاختلاس، وزيادة الضرائب على المواطنين حتى لم يعد بمقدورهم دفعها (شبيكة، 1991).

وهذه الإشارات تعطي صورة بائسة عن الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي مر بها الشعب السوداني، الذي أصبحت آماله كبيرة بظهور المخلص الذي يخرجهم من هذه الحالة التي فرضت عليه.

وإن المجتمع السوداني ببساطته وعفويته، يؤمن بعقيدة إسلامية تقوم على إتباع الطرق الصوفية، التي تُعلي من شأن شيوخ هذه الطرق، وترى أنهم أصحاب الكرامات، وخوارق العادات الذين بدورهم كانوا يعززون أسباب الحالة المتردية التي وصلت إليها البلاد لانحراف الناس عن الدين القويم، وتشرب المجتمع السوداني من دروس ومواعظ شيوخ الطرق الصوفية أن النجاة تكون على يد المهدي المنتظر، الذي سيملا الأرض عدلاً، ويجدد الإسلام في النفوس والتعاملات (شبيكة، 1991).

الثورة المهدية:

وفي ظل هذه الظروف أعلن محمد أحمد بن عبدالله (1843-1885) أنه المهدي المنتظر (شبيكة، 1978)، وينكر شقير (1981) أن اسمه بعد هذا الإعلان أصبح (محمد المهدي) وأورد قوله - أي محمد المهدي - حول هذا التغيير: "أمرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بالاعتصار على الجزء الأول أعني محمداً وتغيير اسمي بمحمد المهدي" (ص: 334)، وقد بدأت الثورة المهدية بالظهور كدعوة دينية، لتأكيد المعاني والقيم الإسلامية، وتعنى بهموم الناس، ورفع الظلم، وتحرير المجتمع من العادات والممارسات الشعبية التي تنافي التعاليم الإسلامية، وتأسيس نظام حكم إسلامي (Sharkey, 2012)، والتحرر من قيود الحكم الجائر، مستمدة من الفكر الصوفي مقومات بنائها ونهضتها (فضل الله، 1994)، فالموروث التاريخي عن التصوف عند ابرز المتصوفين في تاريخ الإسلام وهو محي الدين بن عربي يدل على أنه كان يشكل مذهباً أخلاقياً وروحياً يعبر عن دلالة الإسلام ويكسبه صفة الزهد، وإن تطور عنده هذا الفكر لاحقاً ليتحول إلى فلسفة ومنهج فكري يعتمد على التلقي والإلهام، إلى جانب إدخال أفكار جديدة في السياق الصوفي: كالمروءة، والفتوة، والتفاني، انعكست نتائجه على الفكر الصوفي من خلال ذبوع أشعاره بين الناس (فاضل، وصالح، 2019)، ومما ساعد في قبول دعوة محمد المهدي لدى السودانيين ما كانت تتوافر في شخصيته من صفات ارتبطت بسلوكه الصوفي الزاهد، وعلمه الشرعي الذي كان معروفاً به، ومعاداته للحكم التركي (أبو شوك، 2015)، فقد كان السودانيون يعتبرون الحكم المصري حكماً تركياً لبلادهم (Colborne, 1885).

هذا إلى جانب ما عرف عنه وعن والده من قبل في أوساط المجتمع السوداني الذي يعيش فيه، من الانتساب إلى نسل الرسول صلى الله عليه وسلم، وجاء عنه في منشور الدعوة قوله: "وليكن معلوماً عندكم أنني من نسل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأبي حسني من جهة أبيه وأمه، وأمي كذلك من جهة أمها، وأبوها عباسي" (منشورات المهدية، 1969: 26)، وفي نفس المنشور يذكر التبشيري بأنه المهدي المنتظر حيث يقول: "وأعلمني النبي صلى الله عليه وسلم بأنني المهدي المنتظر وخلقني رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجلوس على كرسيه مراراً بحضور الخلفاء والأقطاب والخضر عليه السلام وجمع من الأولياء الميتين وبعض من الفقهاء الذين لا يعبأ بهم، وقلدني سيفه صلى الله عليه وسلم وأيدني بالملائكة العشر الكرام وأن يصحبني عزرائيل

³ الحكمدار: كلمة تركية تعني الحاكم أو الملك، وهي كلمة مركبة من كلمة حاكم في اللغة العربية وكلمة دار بمعنى صاحب في اللغة الفارسية، واستخدمت كلمة حكمدار في مصر أول الأمر لقباً لرئيس الشرطة، وفيما بعد استخدمت لقباً للحاكم العام وقائد الجيش في السودان (عبدالرحيم، 2011).

دائماً، ففي ساحة الحرب أمام جيشي وفي غيره يكون ورائيا، وأن يصحبنى الخضر -عليه السلام- دائماً ويكون أمامنا سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وخلفائه الأربعة والأقطاب الأربعة وستين ألف ولي من الأموات" (منشورات المهدية، 1969: 24)، والملاحظ هنا عمق تأثير محمد المهدي بالفكر الصوفي، والإيمان بالكرامات والحضرات والاعتقاد باستمرار تأثير الأموات وقدرتهم في حوادث الزمن، وهذه من أهم الأدوات التي اعتمد عليها في كسب طائفة كبيرة من الناس حوله، لتأييد حركته، وأنها توافق الميول والأهواء والعقيدة الدينية عند شريحة كبيرة من السودانيين الموجودين حوله.

ومن خلال رسائل محمد المهدي يتبين أنه قام على التحضير لإعلان مهديته بشكل سري، ويشير هنا شقير (1981) إلى المقابلة الأولى التي جمعت محمد المهدي مع عبدالله التعايشي⁴ الذي أصبح خليفته الأول فيما بعد، ويذكر أن التعايشي عند لقائه بمحمد المهدي أخبره أنه يحمل صفات وعلامات المهدي المنتظر، وأن نبوءة والده - أي والد عبدالله التعايشي والذي كان معروفاً بأنه من أصحاب الكشف - قد تحققت وأنه تلاقى مع مهدي الزمان، وبعد هذه المقابلة يشير شقير (1981) إلى أن محمد المهدي عكف على قراءة كل ما وقع تحت يده عن أخبار المهدي المنتظر، وعلامات ظهوره وصفاته، وبأشرفه الدعوة السرية في أوساط من يثق بهم من مشايخ الطرق الصوفية، والرسالة التي بعث بها محمد المهدي قبل تسعة أشهر من إعلان الدعوة إلى عبدالفتاح عبدالله والمؤرخة بتاريخ 3 تشرين أول/ أكتوبر 1880م تصرح بذلك حيث قال فيها: "حبيبي: هيا على إقامة الدين فإننا كاتبنا جميع المحبين والمتبعين لأوامر الدين، وأنت من أكد المهتمين بأمر الديانة.... وسر هذا لا تبخه إلا لمن منك تابعاً لك، فإنه فيه سر ووراء بشارة..." (منشورات المهدية، 1969: 7)، وفي رسالته إلى محمد الطيب البصير يقول محمد المهدي: "لا يخفى عزيز علمكم أن الأمر الذي نحن عليه لا بد من دخول جميع المؤمنين فيه إلا من هو خالي من الإيمان... وهذا الأمر مكتوم لا يظهر إلا بحلف وعهود على كتمه حتى يظهره الله تعالى والسلام" (منشورات المهدية، 1969: 8-9).

والملاحظ المهمة في رسائل محمد المهدي إلى جانب صدورها في وقت مبكر قبل إعلانه المهدية، أن الخطاب موجه للأحباب والأتباع من مشايخ الطرق الصوفية، التي يتبنى هو نفسه إتباعها، لإدراكه أهمية كسب تأييدهم إلى جانبه، فكل منهم لديه من الأتباع من يمضي معه دون التفات أو تفكير، وهذا يقوي موقفه متى قرر إعلان أنه المهدي على الملأ، وتضمنت الرسائل أيضاً التحذير من إفشاء هذا الأمر أو إعلانه قبل الوقت المناسب، الذي سيحدده هو نفسه، مخافة إفشال مخططه، ووقوعه في مشاكل مع مخالفين دعوته، من بعض شيوخ الطرق الصوفية المتوقع اعتراضهم عليه وعلى فكرة المهدية.

وأطلق محمد المهدي دعوته بشكل علني في 29 / 6 / 1881، حيث أعلن للفقهاء والأعيان، ومشايخ الطرق الصوفية، ورؤساء القبائل، أنه المهدي المنتظر "الذي سيملا الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً وظلماً" (شليبي، 1979: 32)، وكانت انطلاقة دعوته من جزيرة أبا الواقعة في النيل الأبيض جنوب مدينة الخرطوم على بعد 240 كم (كولينز، 2015)، وهي مكان إقامته، وله فيها عدداً من الأنصار، الذين رأوا فيه الولي الصالح والشيخ الزاهد، وكانوا يحضرون مجلسه، ويستمعون إلى دروسه الدينية، وبروا تصرفاته وسلوكياته، وزهده في الدنيا، واعتكافه للعبادة في خلوته التي اعد لها كهفاً في تلك الجزيرة، مما أضفى على شخصيته دلائل الاستقامة والتدين، التي جذبت له سكان الجزيرة.

وبعد إعلان محمد المهدي مهديته تجمعت حوله قبائل البحر الأبيض - يسمى مجرى النيل الأبيض في السودان البحر الأبيض - واخذ منهم البيعة على طاعته وإتباعه، ومن القبائل التي كانت سابقة إلى نصرته قبيلة دغيم، ووفد من قبيلة كنتنة، ووفد من قبيلة الحسنات، ووفد من العمارنة، ووفد من دويح، ووفد من فلاته، ومن الأعيان الذين كانت لهم شهرة فيما بعد على مستوى الحركة المهدية وفد إليه عبد الرحمن النجومي، الذي برز في المهدية قائداً عسكرياً فذاً، وعبدالله التجاني، الذي كان أول أمين لخاتم المهدي (الكرديفاني، 1982)، ولم يترك محمد المهدي أي من زعماء القبائل والمشايخ، إلا وأرسل لهم الرسائل يحرضهم على مواجهة السلطات الحكومية، والامتناع عن دفع الضرائب لهم، ويأمرهم بالهجرة إليه، ليقم الدين والسنة (ميخائيل، 2004).

وأدت بسلطة المجتمع السوداني، وانغماسه في إتباع الطرق الصوفية، وتصديقه بالإشاعات التي ذاعت بين الناس بأن المهدي مؤيد بالكرامات الربانية، وأنه يمكنه الاطلاع على الأسرار والأمور الغيبية، إلى جانب تظاهر المهدي بمظهر المصلح الديني لجماعته، ومطالبتها أتباعه أن يتمسكوا بالإيمان بالله، وأن يبتعدوا عن ملذات الدنيا، إلى التحاق الناس به، وتصديق دعوته والإيمان بها، وبذل نفوسهم في سبيل إنجاحها والدفاع عنها (يحيى، 1959).

⁴ عبدالله ود محمد آدم تورشين (1850-1899) من قبيلة التعايشية فرع الجبارات، يعد من أوائل المصدقين بدعوة محمد المهدي، وعين بمنصب الخليفة الصديق، وكان قائد أكبر رايات جيوش الحركة المهدية، واعتبره محمد المهدي نائباً عنه، وتولى خلافة الحركة بعد وفاة محمد المهدي (شقير، 1981).

فكانت الدعوة المهدية التي أطلقها محمد المهدي في نظر كثير من السودانيين: "ثورة لإحياء الدين وبعث التراث ورفع الظلم وإنقاذ المجتمع من الفسق والفجور، ثورة لتغيير القاعدة الاجتماعية والنظام السياسي والاقتصادي، عن طريق تنوير الفكر الصوفي" (فضل الله، 1994: 71).

وبذلك تمكن محمد المهدي من توظيف الميول الصوفية للسودانيين وتصديقهم بحدوث الكرامات التي يختص بها الأولياء والعباد الصالحين، إضافة إلى التحريض الدائم لأنصاره على إحياء الدين في النفوس والتعاملات، وحثهم على عدم دفع الضرائب للحكومة، ومقاتلة رجالها، وأن يكون الأنصار في حالة استنفار دائم للجهاد، ووعدهم بالحصول على الغنائم إن كتب لهم النصر، ووعدهم بدخول الجنة إن استشهدوا بالمعارك مع أعدائهم.

السيطرة المهدية على السودان:

تكمن أهمية دراسة السيطرة المهدية على السودان، في إبراز الأركان التنظيمية التي تبنتها الحركة المهدية، نتيجة حاجتها للتعينة العسكرية، وحشد أكبر عدد من المقاتلين والأنصار لصفوفها، حتى تتمكن من مواجهة القوات الحكومية، وتنظيم أمور الحركة الداخلية.

وتعد خطوة محمد المهدي بادعاء المهدية، التي أشهرها من جزيرة أبا، مرحلة التكوين الأولي للمفاهيم السياسية، والتنظيمية، التي ستخدها الحركة في طريق تكوين الدولة المحكومة بالقوانين والنظم الدينية التي يسعى لتحقيقها، وهذه المفاهيم مستمدة من أحداث السيرة النبوية، وفقاً للصفة التي قدمتها بها الطرق الصوفية التي اتبعتها وتعلمها محمد المهدي.

وفي سبيل ذلك وقف المهدي في وجه الحركات والدعاوى التي انتقدته، ومنع نشر كتب ورسائل معارضية (إبراهيم، 1987)، ووجه منشوراً يهاجم فيه من سماهم علماء السوء، إذ جاء فيه: "... يا علماء السوء كيف يدرك الآخرة من لا تقتضي من الدنيا شهوته ولا تنقطع عنها رغبته..." (منشورات المهدية، 1969: 329)، واستطاع أن يفرض سيطرته حتى يتمكن من المحافظة على تماسك جماعته حوله، فمنعهم من أداء فريضة الحج (أمين، 1951)، متذرعاً بادعائه أن الحرمين تحت سيطرة الأتراك، وما دام الأمر كذلك؛ فلا سبيل لأنصاره أن يؤدوها (المهدي، 1975)، وعمل على إبطال الطرق الصوفية، والعمل بالمذاهب الفقهية، حتى يوحد كلمة أنصاره واتجاهاتهم الفكرية، ويعزز ما يسمى بالفكر الصوفي الالتزام بالأغوار الباطنية للعبادات، والتي تقتضي أن يُسلم التابع لشيخه، ويعمل بما يأمره به دون البحث في العلل والأسباب؛ لأن الشيخ في عقيدتهم ما يقول شيء، أو يفعل شيء، إلا بتأييد من صاحب الرسالة، في هذا السياق يرد عند الكردفاني (1982) قول محمد المهدي مخاطباً أتباعه: "أن الخليفة عبدالله هو مني وأنا منه وقد أشار إليه سيد الوجود- صلى الله عليه وسلم- فتأدبوا معه كتأدبكم معي وسلموا إليه ظاهراً وباطناً كتسليمكم لي وصدقوه في قوله ولا تنهوه في فعله. فجميع ما يفعله بأمر النبي صلى الله عليه وسلم أو بإذن منا لا بمجرد اجتهاد منه ولا هو عن هوى بل هو نايب عنه في تنفيذ أمره صلى الله عليه وسلم والقضاء بإشارته" (ص 382). وجاء في نص المنشور الذي أرسله الخليفة عبدالله لبعض أتباع الطريقة التيجانية⁵ قوله: "ومعلوم عنكم وعند جميع أهل البصائر أنه على نور (يعني محمد المهدي) من الله وتأييد من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموعود أنه يرفع المذاهب ويظهر الأرض من الخلاف ويعمل بالسنة حتى لا يبقى إلا الدين الخالص... إذ كان الأمر كذلك فيا إخواننا نبهوا وافتحوا عيون قلوبكم وتوقفوا من جميع الطرق ونبهوا إخوانكم بذلك وتوسلوا جميعاً بهذا الإمام المهدي..." (منشورات المهدية، 1969: 62-65)، وكان يبشر أنصاره بأنه سيفتح أرض مصر والشام والعراق وأن مكة ستكون تحت سيطرته، إلى جانب باقي المقدسات الإسلامية (الكردفاني، 1982)، وفي رسالته التي وجهها إلى القوات الحكومية الموجودة في أم درمان، يقول محمد المهدي: "وإني موعود بملك جميع الأرض. ورأيتم نصرتي في حال الضعف والقلّة إلى أن بلغت هذا المبلغ" (الكردفاني، 1982: ص 344).

وبذلك كانت المهدية والإيمان بها أول الأركان التنظيمية ظهوراً في الحركة المهدية، وأبرز معالمها السياسية، فالإيمان بالمهدية يعني الإيمان المطلق بصدق وعصمة الإمام محمد المهدي، وأنه مؤيد من الله وملهم منه، وأنه يتلقى تعاليمه من رسول الله، لذا يكون على أتباعه طاعته مطلقة، ولا سبيل لمناقشة تعاليمه وأوامره.

ولتكوين رابطة عقائدية بين الفرد والحركة المهدية، وظف محمد المهدي مفهوم البيعة، كمفهوم سياسي تعاقدي، يبين واجبات

⁵ التيجانية طريقة صوفية أسسها أحمد التيجاني عام 1781، واسم الطريقة مشتق من اسم قبيلة تيجان البربرية التي تسكن في مناطق تلمسان بالمغرب، ودخلت هذه الطريقة للسودان بجهود محمد بن المختار الشنقيطي، وانتشرت في مناطق متعددة من السودان، وأبرز تعاليم هذه الطريقة تقول أن أحمد التيجاني وخلفاؤه شفعاء بين الله والبشر (مكاوي، 2007).

الفرد تجاه الحركة المهدية وإمامها محمد المهدي، ولأهمية البيعة في تنظيم الحركة المهدية، فإنها تعد ثاني الأركان التنظيمية للحركة المهدية ومفتاح الدخول فيها.

ونص صيغة البيعة المحفوظة عن أنصار محمد المهدي: "بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الوالي الكريم والصلاة على سيدنا محمد وآله مع التسليم، وأما بعد فقد بايعنا الله ورسوله وبايعناك على توحيد الله وألا نشرك به أحداً ولا نسرق ولا ننزي ولا نأتي ببهتان ولا نعصيك في معروف بايعناك على زهد الدنيا وتركها والرضى بما عند الله رغبة بما عند الله والدار الآخرة وعلى أن لا نفر من الجهاد" (شقيز، 1981: ص 349). وفي رسالة محمد المهدي لأنصاره، التي يوضح فيها أسس البيعة، فإنه يؤكد على ضرورة التزام توحيد الله في كل شيء، والتوكل عليه، والاعتماد عليه، والزهد في الدنيا، والتحذير من السرقة وأن أعظم السرقة إخفاء الغنائم، وحثهم على تحمل البلاء، والإقبال على الآخرة (منشورات المهدية، 1969). وفي منشور آخر يحذر فيه من إخفاء شيء من الغنائم يقول: "قد كررنا لكم التذكير بشؤم الدنيا والغنائم وخرجت لكم منشورات في ذلك. وليس رزق السعيد في تخيئة الغنيمة، بل إنما الانتفاع بالمخبا من الغنيمة إنما هو للأشقياء. وليكن المعلوم عندكم أن من خبا شيئاً من الغنائم ولو قليلاً فليس من أصحابنا. إنما هو من أصحاب إبليس والدجال" (الكردفاني، 1982: ص 385-386).

وهذه الأسس التي أكد عليها محمد المهدي، وجعل من صيغة البيعة الميثاق الملزم بها، تتضمن شذو همة أنصاره من خلال التوظيف العقائدي للإيمان بالمهدية، وعدم النظر للمكاسب المادية التي يمكن الحصول عليها بالدخول في المهدية، ويعزز في نفوسهم الرغبة بالزهد وترك ما يقع تحت أيديهم من مغام، والعمل على إيداعها في بيت المال، الذي سيكون المسئول عن توزيعها وفقاً للضوابط الشرعية، التي تحدد من خلال المنشورات التي يصدرها محمد المهدي.

ولم يحصر محمد المهدي مسألة اخذ البيعة بالحضرة إليه، وإنما فوض الأمراء وأصحاب الرايات بأخذ البيعة نيابة عنه، وبذلك شكلت البيعة التزاماً أخلاقياً بقيم المهدية وتعاليمها والطاعة لأوامر مؤسسها، وتنفيذها على أرض الواقع (أبو شوك، 2015)، وساهم التفويض بأخذ البيعة نيابة عن محمد المهدي، في دخول كثير من القبائل المتفرقة في نواحي السودان في طاعة المهدية، بعد عرضها عليهم من قبل الأمراء والقواد، الذين توجهوا إليهم بتعليمات وأوامر من محمد المهدي.

وإلى جانب الإيمان بالمهدية، تكونت نواة الأنصار للحركة المهدية، والتي تعد الركن التنظيمي الثالث، والذي سيكون لاحقاً من أهم الأسس السياسية للحركة المهدية عبر تاريخها. لذا اعتبر من يؤمن بالمهدية ويناصرها مؤمن، وله حرمة الإسلام والأخوة، ومن يكذب بالمهدية ولا ينتمي لطائفة الأنصار في عداد الأعداء، الذين تستباح دماهم وأموالهم وأعراضهم، ويعزز ذلك ما ذكر عن محمد المهدي قوله: "أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم بأن من شك في مهديتك فقد كفر بالله ورسوله" (الكردفاني، 1982: 380).

وأطلق محمد المهدي على جماعته اسم الأنصار، في حين كانت الحكومة المصرية، ورجال الإدارة من الأجانب الذين يعملون في خدمتها في السودان، يطلقون على من يلتحق بهذه الجماعة لقب الدراويش (المهدي، 1975). وفي منشور يؤكد فيه محمد المهدي منع تسمية أتباعه بالدراويش يقول: "... ما دام أنه قد صدر التنبية على كافة المحبين والمؤمنين أن يتركوا تسمية أنصار دين الله الذين نفذت قلوبهم إلى ما عند الله... فمن نفذ قلبه إلى ما عند الله من الخير وترك ما في الدنيا من الضير لا يسمى درويشاً وإنما يسمى عاقلاً ومدركاً وبصيراً وناصراً لدين الله... فلزم من سمى مثل هذا بالدرويش الذي هو ذاهب العقل التعزير والجلد..." (منشورات المهدية، 1969: 297).

وهذه التطورات التنظيمية التي حققتها الحركة المهدية، لفتت انتباه الحاكم العام في السودان، محمد رؤوف، فأدرك مقدار خطر الحركة المهدية، التي تستند إلى العامل الديني، على الشعب السوداني، فأرسل للمهدي حملة عسكرية صغيرة بقيادة معاونه محمد أبو السعود⁶، بصحبته عدداً من العلماء، ليقتنعوا محمد المهدي العدول عن دعوته، والتوجه معهم للخرطوم لمقابلة الحكمدار، وقابلهم المهدي بترحاب، ورفض الذهاب معهم إلى الخرطوم (يحيى، 1959)، في حين يشير الكردفاني (1982) والذي يعد مؤرخ الحركة المهدية ومعاصر أحداثها، إلى أن مهمة أبو السعود كانت دعوة محمد المهدي إلى الخرطوم من قبل الحكمدار محمد رؤوف باشا لأنه يرغب بتأييد دعوته وإتباعها، وإن كانت مراجعة محمد المهدي لأبي السعود تشير إلى غير هذا المقصد، حيث جاء رد المهدي بقوله: "أما ما طلبته من الوصول معك إلى كبرائك فهذا مما لا سبيل إليه وأنا ولي الأمر الذي تجب طاعته على

⁶ أبو السعود: محمد أبو السعود العقاد مصري الأصل، كان تاجراً ويدير شركة العقاد، التي كان لها أعمال واسعة في الاستوائية، انتقل إلى الخرطوم بعد أن تضررت تجارته، نتيجة محاربة تجارة الرقيق، وأصبح معاوناً للحكمدر في الشؤون المالية، توفي في العام 1881م (ميخائيل، 2004).

جميع الأمة المحمدية والانقياد لما جئت به من الله تعالى" (ص 118). ثم يذكر الكردفاني (1982) أن محمد المهدي أقام له البراهين النيرة، والحجج الباهرة، الدالة على صدقه، فإذا كان الحكماء يؤمن بمهديته ويريد الإتيان، فلماذا يرسل له من يحاججه، وهذا ما ذهب إليه محقق الكتاب وأثبتته في هامش الكتاب، وعاد الحكماء وأرسل محمد أبو السعود على رأس سريتين للقبض على المهدي، وما إن وصلوا إلى الجزيرة حتى وجدوا أنصار المهدي مستعدون لمواجهتهم وهم مسلحين بالحرايب، ومستعدون للدفاع عن محمد المهدي، فاضطر محمد أبو السعود للانسحاب ليلة 12-13/8/1881، بمن بقي معه من الجنود، بعد أن قُتل بعضهم، وغرق بعضهم الآخر في النيل (نييلاندز، 2002).

وبعد أن فرغ محمد المهدي من دفن من قضى من أنصاره في معركته مع محمد أبي السعود قال لأنصاره: "إن سيد الوجود صلى الله عليه وسلم أمرنا بالهجرة لجبل ماسا⁷، بلصق جبل قدير، ثم أمر الناس بالخروج للهجرة وخرج بنفسه" (الكردفاني، 1982: 139) وتعتبر الهجرة من علامات ودلائل صدق الدعوة المهدية ومثالاً مقتفى من التراث الإسلامي (ميخائيل، 2004)، ولتأكيد أهمية الهجرة في المهدية، يرد عن محمد المهدي قوله: "...وقد أخبرني سيد الوجود صلى الله عليه وسلم وأشار إلي بمكاتبة المسلمين ودعوتهم إلى الهجرة معنا، فهي مطلوبة جداً ومن الأمور التي لا يجوز مخالفتها ولا يلتفت في ذلك إلى أحد، فإن اتبع الأهل فيها والإفصاحية تركوا أهلهم للهجرة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم..." (منشورات المهدية، 1969: 22). ومن خلال تنفيذ الهجرة أشعلت المهدية في نفوس أنصارها الجانب العقائدي، وتمكنت من خلال ذلك أيضاً، إعدادهم إعداداً عسكرياً، لمواجهة أعدائهم ومخالفهم (أبو شوك، 2015).

وهذا التوظيف العقائدي لمفهوم الهجرة، أسهم إسهاماً كبيراً في إظهار قوة اندفاع الحركة المهدية، التي لم تتجاوز مدة إعلانها الأربعة شهور بعد، وذلك يمكن اعتبار الهجرة الركن التنظيمي الرابع من الأركان التنظيمية للحركة المهدية. وفي طريق الهجرة إلى جبل ماسا، وقع صدام بين أنصار محمد المهدي وبين قبيلة الجرادة، في أواخر شهر تشرين أول/أكتوبر 1881، انتهى بانتصار المهدي وأنصاره عليهم، ووصلوا إلى جبل ماسا في 31/10/1881، واستقبلهم أهل المنطقة بالترحاب وانظموا لجماعتهم (شبيكة، 1991). وبذلك تحقق لمحمد المهدي الهجرة إلى منطقة تعتبر من الناحية الجغرافية، ملاذاً آمناً من مباحة القوات الحكومية له ولأنصاره، إلى جانب أنها منطقة تقطنها قبائل عديدة انضمت بكاملها للحركة المهدية (يحيى، 1959).

حملة راشد بك:

بعد وصول محمد المهدي ومن معه من الأنصار لجبل ماسا، أطلق محمد المهدي على مقر هجرتهم اسم جبل العزة (هولت، 1978)، ولما علم حاكم فاشودة راشد بك بوصولهم، خرج لهم بحملة استتفر فيها من كان حوله من أهالي المنطقة، وبدون الانتظار لأخذ رأي الحكماء أو إذنه في ذلك (الكردفاني، 1982)، ولم يشر الكردفاني (1982) لعدد الجند الذين خرج بهم راشد بك لملاقاة محمد المهدي عند ذكره لها، في حين يذكر شقير (1981) أن تعداد الجيش كان 1400 منهم 400 جندي نظامي و1000 من قبيلة الشلك، وكانوا بزعامة ملكهم كيكون، ويذكر نييلاندز (2002) أن قوة راشد بك كانت تتكون من (1200) رجلاً من القوات النظامية المسلحة تسليحاً جيداً، أما شبيكة (1991) فيذكر أن قوة راشد بك تتكون من 350 جندي نظامي، و70 من الخطرية، وألف رجل مقاتل من قبيلة الشلك.

وعند علم المهدي بخروجهم أعد لهم كمين، واستطاع أن يبيدهم ويقتل قائد الحملة، واستولى على أسلحتهم (هولت، 1978)، وأسر منهم مئة وأحد عشر رجلاً (الكردفاني، 1982)، ويذكر كل من الكردفاني (1982)، وشبيكة (1991) أن سبب إبادة هذه الحملة كان نتيجة استعداد محمد المهدي وأنصاره لمواجهتهم، بعد وصول أخبار الحملة العسكرية الموجهة له عن طريق امرأة كنانية تدعى رابحة بنت علي، وتأكيد خبرها بوصول رسول من قبل الملك ناصر - ملك جبال قدير - لمحمد المهدي يخبره بأنه وصلته (نضيرة) - وهي علامة متعارف عليها عند أهل المنطقة تكون من خلال رفع علم في رأسه نار ليلاً من قبل أصحاب الجبل المجاور الذين يصل إليهم الجيش المقاتل - وبذلك تسنى له الاستعداد التام لملاقاتهم، فكمن لهم، واتباع أسلوب الدخول بين صفوف الجيش، ومناوشته بالحرايب والسيوف والرماح، ليتغلب على قوة البنادق، ويحد من استخدامها في المعركة (شبيكة، 1991)، في حين عزا نييلاندز (2002) سبب إبادة الجيش للعدد الكبير الذي واجههم من أنصار المهدي البالغ (8000) رجلاً. وعلى الرغم من التباين في وجهات نظر المؤرخين عن سبب هزيمة قوة راشد بك أمام أنصار المهدي، إلا أن النتائج التي

⁷ جبل موجود بالقرب من جبل قدير في كردفان، جنوب مدينة الأبيض على بعد 140 كم (ميخائيل، 2004).

تحققت لمحمد المهدي وأنصاره، كانت عظيمة الأثر على تطور المهدية، وتحفيز القبائل المترددة للدخول في طاعة محمد المهدي، فهذا الانتصار انظم عدداً كبيراً من قبائل كردفان للحركة المهدية، وبدأت ترد وفود المهاجرين من كل أنحاء السودان (شبيكة، 1991).

وفي هذه المعركة استخدم محمد المهدي أسلوباً دعائياً يعزز مكانته، ويظهره في منزلة المؤيد صاحب الكرامات، فقد ذاع بعد المعركة أن محمد المهدي يُحارب بسيف القدر، وأن الرصاص الذي يطلقه العساكر على أنصاره يتحول إلى ماء فلا يضرهم، وأن النار تخرج من حراب الأنصار وسيوفهم، لتحرق أجساد العساكر، وأن أنصاره رأوا اسم محمد المهدي مكتوباً على ورق الشجر، وببيض الطيور في البرية (الكردفاني، 1982). ومن جديد تكون الميول الصوفية حاضرة لدى أنصار المهدي، وعاملاً مهماً من عوامل تعزيز الولاء لمحمد المهدي وحركته في نفوس أتباعه، فصدقوا مثل هذه الأساليب الدعائية، بل كانت عنصراً مهماً لجذب مزيداً من الأنصار للحركة.

المواجهات قرب جبل قدير: بعد إبادة حملة راشد بك في جبل قدير، قررت الحكومة المصرية استدعاء محمد رؤوف الحاكم العام على السودان، وعينت عبد القادر حلمي وزيراً لشؤون السودان بتاريخ 1882/3/2، وأسندت تسيير الأمور في السودان إلى رئيس مصلحة التلغرافات السودانية الضابط الألماني جيجلر Gijler، الذي أخذ الموافقة من الحكومة المصرية، على تجميع القوات العسكرية الموجودة في السودان لمواجهة بها محمد المهدي وأنصاره، وأسند مسؤولية قيادة هذه القوات ليوسف الشلالي⁸ (شقيير، 1981؛ هولت، 1978)، وانطلقت هذه الحملة من الخرطوم في 1882/3/15، واستمرت بمسيرها إلى أن وصلت إلى منطقة (كوة) الواقعة على ضفة النيل الأبيض على بعد 180 كم جنوب مدينة الخرطوم، وانتظرت فيها إلى أن لحق بها المدد القادم من مدينة الأبيض⁹ (سلاطين، 1999)، وانضم إليه عدداً من رجال قبيلة الشايقية، الذين تم تجنيدهم وتسليحهم كقوات غير نظامية، وعند بدء المواجهة مع أنصار المهدي، انهزم جيش الشلالي، وتم الاستيلاء على الأسلحة والذخائر والمهمات العسكرية التي كانت معهم. وشجع النصر الذي حققه أنصار المهدي على قوة الشلالي القبائل في المنطقة على الانضمام لجماعة المهدي، فأعلنت قبيلة الحسانية التي تعيش بين الخرطوم وكردفان الانضمام للحركة المهدية، ونتج عن انضمامهم للحركة المهدية قطع الطريق على الحكومة بين العاصمة الخرطوم ومدينة الأبيض، الأمر الذي سهل احتلال مدينة الأبيض لاحقاً (يحيى، 1959).

واستمراراً للدعاية التي أطلقها محمد المهدي، بأنه مؤيد ومنصور في غزواته وسراياه، عاد الحديث بعد واقعة يوسف الشلالي بأن النار تخرج من محلات طعن الرماح، وضرب السيوف، وحرق أجساد أعدائه، وبشكل أكبر مما كانت عليه في واقعة راشد، وفي هذا السياق يقول الكردفاني (1982): "وما زال هذا الحال ينمو ويزداد في جميع الوقعات التي يحضرها المهدي عليه السلام بل عم ذلك في جميع الحروب التي وقعت في المهدية" (ص 178-179).

فسارع الناس إلى جبل قدير لبيعة محمد المهدي، الذي شرع بإرسال الرسل والأمراء إلى نواحي كردفان، ودارفور، والجزيرة، يحثهم على الصدام مع القوات الحكومية، لئيشغلها في كل الجهات (شقيير، 1991).

وبعد هزيمة قوة يوسف الشلالي، أرسل الخديوي توفيق إلى السودان أحمد بك حمدي في مهمة سرية، ليطلع من خلاله على واقع الحركة المهدية، وعلى أداء الموظفين الحكوميين في السودان، سواء كانوا مصريين أو انجليز، وتضمن تقرير أحمد بك حمدي للخديوي توفيق، بيان أسباب الثورة المهدية، التي عزاها لسوء إدارة البلاد من قبل موظفي الحكومة، إضافة إلى عدم إدراك الإدارات الحكومية لخطر وجود موظفين إداريين سودانيين في مصلحة التلغراف، الذين بدورهم كانوا ينقلون أخبار الحكومة والتحركات العسكرية إلى الثوار، كما كشف التقرير عن وجود حركة هجرة من الخرطوم، ودنقلة، ومناطق قبائل الحسانية إلى كردفان، ليلتحقوا بحركة محمد المهدي، واقترح في ختام تقريره مراقبة الطريق بشكل عام، وإعلان حالة الطوارئ والأحكام العرفية في مدينة الخرطوم (يحيى، 1959).

ونظم محمد المهدي أنصاره في هذه المرحلة بطريقة تنظيمية تسهل قيادتهم، وفق مجموعات تتبع كل منها لخليفة من الخلفاء، وسما كل منهم خليفة راشد وهم: الخليفة الصديق وشغل هذا المنصب عبدالله التعايشي، ومنصب الخليفة الفاروق شغله علي ود حلو، وشغل محمد شريف منصب الخليفة الكرار، وعرض منصب الخليفة عثمان على السنوسي في ليبيا، إلا أنه لم يبالى به

⁸ يوسف حسن الشلالي من مواليد مدينة الخرطوم، برز كفائد عسكري في مواجهة قوات سليمان الزبير باشا، ورفي لرتبة لواء، قتل في المعركة على يد أنصار محمد المهدي، وأبدي جيشه (أبو شوك، 2015).

⁹ الأبيض: مدينة سودانية وهي مركز ولاية كردفان، تبعد عن الخرطوم جهة الجنوب مسافة 400 كم، وتعد مركزاً تجارياً هاماً في السودان (العفيفي، 2000).

وبقي شاغراً (القدال، 1985)، وعين النقيب، وقسم الأنصار إلى خمس رايات، كتب على الراية التي تتبع لسيادته "محمد المهدي خليفة رسول الله" وكتب على الرايات الأربع الباقية أسماء كبار الأولياء المشهورين في التراث الصوفي: الجيلاني، والرفاعي، والدسوقي، والبدوي (أبو شوك، 2015)، ويذكر زلفو (المشار إليه في أبو شوك، 2015) أن تنظيم الرايات الذي اتخذه محمد المهدي مستمد من مصدرين: المصدر الأول: الطريقة الصوفية في تنظيم مواكبها شبه العسكرية، خلال الاحتفالات بالمناسبات الدينية، والمصدر الثاني: من التراث الإسلامي، وما نقل عن مغازي الرسول صلى الله عليه وسلم، والحروب التي خاضها المسلمون.

المواجهات في الأبيض: كان لاستسلام حامية بارة في أوائل شهر كانون ثاني/يناير 1883، أثراً كبيراً في دفع قائد حامية الأبيض محمد سعيد، والضباط الموجودين معه، للتفكير بالاستسلام لأنصار محمد المهدي، وتسليم مدينة الأبيض (سلاطين، 1999)، كما فعل عددٌ من رجال الحامية، وقبائل الجعليون الذين انضموا للثوار (هولت، 1978)، ومع ذلك بقيت مدينة الأبيض صامدة في وجه الحصار، إلى أن قرر قائد الحامية محمد سعيد تسليم نفسه لمحمد المهدي، نتيجة ما أصاب الناس في المدينة من الجوع والعوز، وموت الكثير من الناس نتيجة الجوع والمرض، ولم يبق أمامهم خيار غير التسليم (أورفالدر، 2015)، ولم تطل حياة محمد سعيد بين أنصار محمد المهدي، فعند تنامي شكوك محمد المهدي حول صدقه، ومحاولته مراسلة غوردون باشا بمدينة الخرطوم، أمر بتسليمه للشيخ إسماعيل الأمين الدلندلوك شيخ قبيلة الغديات، الذي عذبه حتى الموت (الكردفاني، 1982). وكانت السيطرة على الأبيض مهمة بالنسبة لمحمد المهدي، للحصول على الثروات المالية المتجمعة في المدينة من الضرائب، ومن أموال التجار الأجانب، ومخازن بضائعهم، ومن الأمانات التي تركها الفارون من المدينة قبل وصول أنصار محمد المهدي إليها (هولت، 1978).

وبعد السيطرة على مدينة الأبيض، اتخذ محمد المهدي قصر الحكومة مقراً له، وعين أحد أمراءه حاكماً على كردفان، وأنشأ بيت المال (يحيى، 1959). وبدأ تفكير محمد المهدي يتجه نحو وضع سياسات وإجراءات تنظيمية شاملة تتوافق مع منهج الإدارة النبوية الشريفة عند تأسيسه للدولة الإسلامية في المدينة، يمكن من خلالها إدارة الجماعة المنضوية تحت رايته، سعياً لتأسيس تنظيم إداري يكون نواة إدارة الدولة المهدية التي يسعى لإقامتها (عليان، والبولادي، 2017). وقد شهدت هذه المرحلة تطوراً كبيراً في التنظيم العسكري، إذ قام محمد المهدي بإنشاء قوة الجهادية، والتي تعد أساس الجيش النظامي للحركة المهدية، فهذه القوة منظمة تنظيمياً جيداً، ومدرية تدريباً جيداً على استخدام الأسلحة النارية، وكان من بين أبرز أفرادها المتطوعون من شتى القبائل، إضافةً إلى الجنود الذين خدموا في جيش الحكومة المصرية في السودان، واستسلموا للحركة المهدية، ويقدر عدد من التحق بالحركة المهدية خلال وبعد حصار الأبيض 3500 جندياً مصرية (سمرنوف، 1994)، كما تجدر الإشارة إلى أن حصار مدينة الأبيض، ومحاولة اقتحامها الأولى، التي فشلت في 8 أيلول/سبتمبر 1882، كان الدافع الأول الذي دفع محمد المهدي لاستخدام الأسلحة النارية، التي غنمها خلال حروبه السابقة مع القوات الحكومية، في حين كانت حروبه الأولى تعتمد على استخدام البيضاء، من رماح وسيوف وحراب، وكانت إستراتيجيته العسكرية تقوم على هجوم عدد كبير من الأنصار على العدو، باستخدام الأسلحة البيضاء، والدخول في صفوفهم، وبذلك يتمكنوا من تحييد أفضلية وتفوق البنادق النارية التي يستخدمها أعدائهم، والتطور الآخر الذي أدخله محمد المهدي على إستراتيجيته العسكرية خلال محاولة السيطرة على مدينة الأبيض، تمثل في إتباع أسلوب الحصار الخانق والطويل، على المدن والحاميات والاستحكامات، ليضطروهم على الاستسلام، أو إنهاكهم بالجوع والمرض، حتى تضعف قواهم على الحرب، ويتمكن منهم، وهذا التغيير في الإستراتيجية الحربية ساعد محمد المهدي في فتح مدينة الأبيض، بعد استسلام حاميتها نتيجة تضيق الحصار عليهم (الكردفاني، 1982؛ يحيى، 1959).

مواجهة حملة هكس: كانت أول مواجهة تقع بين جيش وليام هكس¹⁰ William Hicks المكون من (10000) رجلاً، وأنصار محمد المهدي في جبل أراد جنوب مدينة الخرطوم بتاريخ 1883/4/29، وقتل خلال المواجهات من 500 إلى 600 رجل من أنصار محمد المهدي، وسبعة من جيش هكس (Colborne, 1885)، عاد بعدها هكس بجيشه إلى مدينة الخرطوم، وكانت نتائج هذه المعركة كافية لرفع معنويات الجنود في حامية مدينة الخرطوم، واخذوا يستعدون لإطلاق حملة كبيرة لمواجهة أنصار محمد المهدي في مدينة الأبيض (نيلاندز، 2002)، وبعد استكمال الاستعدادات، انطلقت الحملة من مدينة الخرطوم في 9/9/1883،

¹⁰ وليام هكس باشا (1830-1883): ضابط بريطاني عين في العام 1883 برتبة فريق في الجيش المصري، وكانت مهمته إعداد حملة عسكرية كبيرة للقضاء على الحركة المهدية، لكن القدرات العسكرية التي كان يتصف بها لم تسعفه أمام أنصار محمد المهدي فقتل في المعركة وأبيد جيشه (أبو شوك، 2015).

وكان محمد المهدي على علم بتحركاتها، فأرسل بعض أنصاره لردم آبار المياه الموجودة على طريقها، ووجه قوة عسكرية أخرى تسير ورائها، وتعبها من بعيد، دون أن تهاجمها، بقصد أن تطول عليها خطوط مواصلاتها، ويلحق بأفرادها التعب، وخلال مسير هذه الحملة كان محمد المهدي يرسل لهم المنشورات التي تؤكد الأمان لمن يستسلم منهم، فاضعف بذلك من معنويات الجنود في الحملة العسكرية، وحين وصلت الحملة إلى منطقة شيكان - وهي غابة على بعد 50 كم جنوب مدينة الأبيض - وقع الاشتباك بين أنصار محمد المهدي، وجيش الحكومة بقيادة هكس، وأسفرت هذه المواجهة عن إبادة جيش هكس وذلك في 1883/11/5، واستولى أنصار محمد المهدي على كل أسلحتهم وذخائرهم وباقي مهماتهم العسكرية (يحيى، 1959)، ويذكر Colborne (1885) والذي كان أحد أفراد هذه الحملة، أنه لم ينج من هذا الجيش المكون من 12000 جندياً، إلا هو ومعه شخصان احدهم يدعى دي كوتلوجن De Coetlogon، والآخر يدعى مارتن Martin، وإن تعداد قوات الحركة المهدية بلغت 83 ألف مقاتل.

واستغل محمد المهدي نتيجة انتصاره على جيش هكس، في مواصلة نشر الدعاية لكرامات المهدي وصدق دعواه، وأشيع من جديد أن الرصاص الموجه لأنصاره من القوات الحكومية يتحول إلى ماء، وطارت سمعته بأنه صاحب المعجزات (أورفالدر، 2015)، وفي هذا السياق يقول الكردفاني (1982): "وقد شاهدت الحرق المذكور في تلك الأجسام في غزوته عليه السلام للطاغية الهكسي قائد جيش الترك لمحاربة المهدي عليه السلام، فاني رأيته في تلك الغزوة بعيني رؤية ظاهرة وأطلعت عليه بعضاً ممن كان معي في تلك الغزوة فشاهده مشاهدة عيانية لا شك فيها" (84). ولم تخل مراسلات عثمان دقنة¹¹ - أمير مناطق شرق السودان - إلى محمد المهدي من الإشارة لهذه الظاهرة، التي وظفت لتحقيق الدعاية لكرامات محمد المهدي، وجذب المزيد من الأنصار للحركة، حيث ورد في خطاب أرسله يتحدث فيه عن بعض معاركه في شرق السودان قوله: "وأحرقت النار جلود بعض السواكنية (سكان مدينة سواكن) المذكورين كما أن ذلك شأن كل من كذب بالمهدية" (دقنة، 1974، ص 82). وفي إشارة ينقلها أورفالدر (2015) يقول: "بعض الجثث اشعلت فيها النيران سراً حتى يمكن جعل الناس الجهلة يعتقدون أن أولئك الكفار قد التهمتهم نار جهنم" (ص 109).

وشكلت هذه الدعاية أهمية كبيرة لجذب المزيد من الأنصار لمحمد المهدي، من جميع أنحاء السودان، وثبت لديهم أنه المهدي الحقيقي، وزادت من حماس الأنصار للجهاد ضد أعداء المهدية (أورفالدر، 2015). ويشير الكردفاني (1982) إلى أن نتيجة معركة أنصار محمد المهدي وجيش هكس، كانت مرتقبة من معظم أهالي الجزيرة، وأهالي مدينة الخرطوم، وأهالي مدينة بربر ومن حولهم، وكانوا ينتظرون نتيجة المعركة ليقرروا أمرهم بالانضمام للحركة المهدية أو البقاء على ما هم عليه، وبعد حسم المعركة لصالح الحركة المهدية، توافدوا إلى كردفان ليلبغوا محمد المهدي، ومن أبرز الوافدين على محمد المهدي، ملك جبال تقلي، الملك آدم أم دبالة، ومعه جميع أعيان جبال تقلي. ومن الآثار التي ترتبت على انتصار محمد المهدي على حملة هكس، انضمام معظم الجنود المصريين للحركة المهدية، وخصوصاً من كان منهم متأثراً بالحركة العربية، والأفكار التحررية التي تنامت بالأوساط الشعبية المصرية للتخلص من الاستعمار (سمرنوف، 1994).

استسلام دارفور وبحر الغزال: بعد وصول أخبار إبادة حملة هكس لسلطين حاكم دارفور، اضطر إلى توسيط بعض العرب الموالين له، لكي يفاوضوا أنصار محمد المهدي، ويخبرهم باستعداده للاستسلام، إذا أرسل المهدي رسوله لاستلام مديرية دارفور، وجاء الرد في 1883/12/20، وتضمن تعيين محمد زووال، المعروف باسم سيد محمد خالد حاكماً على الغرب، والعفو عن سلطين وأوصى محمد المهدي بمعاملته بإكرام، وأن يعامل سائر موظفي الحكومة السابقة باللطف. ومع ذلك فقد أمر الحاكم الجديد - محمد زووال - الأهالي بالخروج من منازلهم، ثم فتش المنازل وأرسل ما وجد بها إلى بيت المال، وكان يعذب كل من يشتبه بحيازته للمال، ثم أخذ خدم الموظفين من رجال ونساء وأرسلوا للمهدي. وباستسلام مديرية دارفور بتاريخ 1883/12/23، انضم شيوخ ورؤساء القبائل السودانية في المناطق المجاورة لأنصار المهدي (أورفالدر، 2015). وبعد استسلام دارفور استسلمت مدينة الفاشر بعد 15 يوماً من الحصار الذي فرضه أنصار المهدية عليها (سلطين، 1999).

¹¹ عثمان دقنة (1837-1926): ولد ونشأ في مدينة سواكن على ساحل البحر الأحمر شرق السودان، وكان تاجراً ثرياً استولت الحكومة المصرية على أمواله، أثناء حربها على تجارة الرقيق، وبعد قيام الحركة المهدية بايع محمد المهدي وعينه أميراً على مناطق شرق السودان، واستطاع أن يشكل قوة كبيرة من قبائل شرق السودان لمواجهة القوات الحكومية والانجليزية، واستمر كذلك حتى وقع أسيراً بيدهم عام 1900، وسجن في سجن دمياط، ثم نقل للسجن في منطقة وادي حلفا وبقي في سجنه حتى توفي في العام 1926 (الزركلي، 1980).

وساعد انتصار محمد المهدي على حملة هكس في فتح المجال أمامه ليتمكن من السيطرة على إقليم بحر الغزال (هولت، 1978)، ويعد هذا الإقليم من أهم الأقاليم السودانية لاحتوائه على أكبر حوض مائي فرعي في وادي النيل (السلطاني، 2019)، أرسل جيش مكون من (8000) فرداً من العرب والجلابة، وضم إليهم خمسة فرق من الجهادية، المزودين بالأسلحة النارية، وتمكنوا من دخول عاصمة الإقليم بتاريخ 28 / 4 / 1884، ووقع في أيديهم مدير إقليم بحر الغزال لبتون، وتم إرساله للمهدي، وبقي أسيراً في أم درمان، حتى وفاته في أيار/ مايو 1888 (هولت، 1978).

المواجهات في شرق السودان: أصدر محمد المهدي في 8 / 5 / 1883، أمراً بتعيين عثمان دقنة أميراً على مناطق شرق السودان، وتمكن المهدي من خلال هذا التعيين كسب ود أهالي الدامر، الذين ينتمون للطريقة المجذوبية، التي يتزعمها الشيخ الطاهر الطيب المجذوب، والذين كانوا في صراع مع إتباع الطريقة الختمية، التي تتزعمها عائلة الميرغني المدعومة من الحكومة المصرية، فوجد الشيخ الطاهر الطيب أن تأييد الحركة المهدية، والوقوف في صف الأنصار، سيعزز من موقف جماعته، ويكسبهم القوة لمواجهة أتباع الطريقة الميرغنية، الذين يعارضون الحركة المهدية، وتمكن عثمان دقنة في خضم هذا الصراع، بين أتباع كل طريقة، من تكوين جماعة كبيرة من الأنصار تتبع لمحمد المهدي، وتمكن من خلال هذه الجماعة فرض وجوده في شرق السودان فحاصرة مدينة سنكات، ومدينة طوكر، وهدد مدينة سواكن، وقطع الطريق بينها وبين مدينة بربر (هولت، 1978).

ويشير Murad (1978) إلى أن انضمام قبيلة الهدندوة، والتي تعتبر من أكبر وأغنى قبائل شرق السودان إلى الحركة المهدية وتأييدها لها، كان نتيجة الخداع الذي تعرضت له القبيلة من قبل الجهات الرسمية المنظمة لحملة هكس، والتي تعاقدت مع قبيلة الهدندوة لنقل التموينات والتعزيزات عبر طريق سواكن بربر لحملة هكس، لقاء حصولها على 7 دولارات عن كل جمل يستخدم لهذه الغاية، وبعد انجاز الهدندوة لمضمون العقد، لم تحصل على كامل المبلغ المستحق لها، ومما زاد من حماس قبيلة الهدندوة للدخول في صفوف الحركة المهدية إبادة حملة هكس بشكل كامل.

وفي 4 / 2 / 1884، أرسلت قوة عسكرية حكومية إلى مدينة طوكر، بقيادة فالنتاين بيكر Valentine Baker، مكونة من (3500) رجلاً، فر منهم 1000 جندياً بعد رمي أسلحتهم، وتواجه باقي أفراد جيش بيكر مع قوات عثمان دقنة، التي تمكنت من هزيمتهم، وقتلت منهم (2000) جندياً (Cromer, 1916)، ويشير (Rossi, 1994)، إلى أن فرار القوات المصرية في حملة بيكر سببه أن هؤلاء الجنود من قوات الدرك، وليسوا من قوات الجيش، فلم يتلقوا التدريبات اللازمة ولم يعتادوا الالتزام بالقوانين العسكرية الصارمة التي تنطبق على أفراد الجيش، وعاد بيكر بمن بقي معه من الجنود الذين نجوا من الموت إلى سواكن، وعلى أثر هذه الهزيمة صدرت الأوامر إلى ستيفنسون Stevenson قائد القوات البريطانية في مصر، بإرسال ثلاث فرق عسكرية بقيادة ماجور جراهام Major General، لمواجهة قوات أنصار محمد المهدي، بقيادة عثمان دقنة في شرق السودان، ورغم التدخل العسكري من هذه القوات وإلحاقها عدد من الهزائم بقوات أنصار محمد المهدي، إلا أن أثرها الفعلي كان ضعيفاً في الواقع، فلم يكن تحت سيطرتهم إلا مدينة سواكن، لأن عثمان دقنة بقي محتفظاً بكل من مدينة سنكات، ومدينة طوكر، ومسيطر على طريق سواكن بربر (Rossi, 1994).

وخلال المدة من 5 آب/ أغسطس 1883 إلى 12 أيار/ مايو 1884، تواجعت قوات المهدية مع القوات الحكومية، والقبائل السودانية الموالية لها، في اثني عشر موقعة، قتل خلالها 4254 من أنصار محمد المهدي، و19094 من الطرف الآخر (دقنة، 1974).

إخلاء السودان:

أدى انشغال الانجليز في تأمين سيطرتهم على مصر بعد قضائهم على الثورة العربية التي قادها أحمد عرابي في فترة 1879-1882، واحتلالهم لمصر عسكرياً إلى صرف أنظارهم عن السودان (الصاوي، جادين، 1990)، كما مارس الانجليز ضغطهم على مصر لإخلاء السودان من الحاميات المصرية، لعجز مصر المالي عن الإنفاق على أي قوة عسكرية يمكن أن تبقى في السودان، بالإضافة إلى أن الرأي العام البريطاني كان منقسماً حيال الثورة المهدية، والتدخل العسكري في السودان، فحزب الأحرار كان يرى عدم التدخل بالشأن السوداني، بينما كان حزب المحافظين يرى أن على بريطانيا التدخل والسيطرة على السودان (ضرار، 1968).

وقدمت الحكومة البريطانية توصيتها رسمياً للحكومة المصرية بإخلاء السودان من الموظفين الحكوميين، والقوات العسكرية بتاريخ 1884/1/4؛ لأنها - أي بريطانيا - لن تتمكن من إرسال جنودها للسودان، ولن تتمكن من إحضار الجنود من الهند، وإذا أرادت الحكومة المصرية الاستعانة بالدولة العثمانية فإن الحكومة البريطانية لا تمنع، شريطة أن تتحمل الدولة العثمانية التكاليف

المالية، وأن أي تدخل أو اتفاق بهذا الشأن لا يشمل منطقة سواكن؛ لأن الحكومة البريطانية ستعنى بأمرها (Cromer, 1916). ونتيجة التطورات التي حدثت في مصر وتشكيل رئاسة نظار جديدة برئاسة نوبار باشا¹² - وهي النظارة الثانية لنوبار باشا - وتسلمها مهامها الرسمية في 10 كانون ثاني/ يناير 1884 (رزق، 1975)، واستعداده لتنفيذ التوصية البريطانية بإخلاء السودان، فقد كلفت غوردون في 26/1/1884 القيام بهذه المهمة، وبعد وصول غوردون إلى الخرطوم تذر الزعماء المحليين الذين كانوا في استقباله، لأنه لم يأتي برفقة قوة عسكرية تواجه خطر الثورة المهدية؛ ولأن الهدف من مجيئه هو إخلاء السودان (هولت، 1978). وعلى الرغم من أن مهمة غوردون تنفيذ اتفاق إخلاء السودان الذي تم بين الحكومة المصرية والحكومة البريطانية، فقد نسب بالتريث ومعالجة الحالة بالسودان بالطرق السلمية من خلال إقامة حكومة سودانية مستقلة عن مصر، وتنصيب الزبير باشا حاكماً على السودان، بالاستعانة بمن بقي له شيء من النفوذ في السودان من السلاطين السابقين، وبشيوخ القبائل، ومن يمكن استمالته من الحركة المهدية، وفي نفس الوقت يغري محمد المهدي بتولية الحكم في كردفان، ومحاولة غوردون هذه تصب في اتجاه بقاء النفوذ البريطاني في السودان (سمرنوف، 1994).

ولم توافق الحكومة البريطانية على فكرة تعيين الزبير باشا حاكماً على السودان؛ خوفاً من إثارة الرأي العام البريطاني، لأنه تاجر رقيق، ومن جهة أخرى لأن الزبير باشا موجود في مصر ويخشى أن لا تسمح الحكومة المصرية بعودته إلى السودان (Rossi, 1994).

ولما أدرك غوردون أن خطته لم تتجح، اضطر إلى إعلان تخليه عن سياسته السلمية تجاه الحركة المهدية، وأن مواجهته معها ستكون بعد إرسال قوات حكومية من مصر إلى الخرطوم (نيلاندز، 2002). وفعلياً وافق البرلمان البريطاني في 5/8/1884، على إرسال قوة عسكرية إلى الخرطوم لإنقاذ غوردون مكونة من 6000 جندياً (Rossi, 1994)، والتي أرسلت بقيادة لورد ولسيلي Lord Wolseley، إلا أن هذا الجيش تأخر في الوصول للخرطوم، وتمكن أنصار محمد المهدي من احتلال المدينة قبل وصوله، فعاد لورد ولسيلي بالجيش إلى مصر (لوتسكي، 2000).

السيطرة على الخرطوم: حاصر المهدي مدينة الخرطوم عشرة أشهر ونصف، أنهكت خلالها قوة حاميتها العسكرية المكونة من (5240) رجلاً، بفعل الجوع والمرض والتعب، ولأن المهدي كان على علم بأحوال الناس في مدينة الخرطوم، عرض على غوردون الاستسلام إلا أنه رفض (يحيى، 1959). وتمكن أنصار محمد المهدي من السيطرة على مدينة الخرطوم بتاريخ 23/1/1885 بشكل كامل (لوتسكي، 2000)، وخلال سيطرتهم على الخرطوم، قُتل غوردون وعدداً كبيراً من رجال الحامية (يحيى، 1959).

ونتيجة انتصار محمد المهدي ودخوله مدينة الخرطوم بالقوة، بعد رفض أهلها الاستسلام، توضح السلوك السياسي الذي انتهجته الحركة المهدية مع فئتين من الناس: الفئة التي تؤمن بالمهدية أو تخضع لها بطرق سلمية، والفئة التي تخضع لها بالقوة، فقد اتسمت معاملة محمد المهدي لمن دخل في الإسلام وأمن بمهديته من الأقباط والأسرى الأوروبيين بالسماحة، وأولاهم الرعاية، وأمر أمين بيت المال أن يصرف لهم مرتباً يكفي إعاشتهم، شريطة التزامهم بحضور مجالس المذاكرة، واستخدم بعضهم في الصناعة الحربية التي تلزم الجيش، وأطلق عليهم لقب المسلمين، فهذا اللقب كان يضاف لاسم كل منهم بعد تغيير الاسم الأجنبي الذي كان يعرف به قبل انضمامه للمهدية، فعرف سلاطين باشا بعبد القادر المسلماني، وجورجو اسلامبولية أصبح اسمه محمد سعيد المسلماني، وحين خصصت المهدية لباساً خاصاً لأنصارها، وهو الجبة المرقعة، طلبت من الأسرى الأوروبيين، والأقباط، أن يرتدوا هذا الزي، أسوة بالأنصار (إبراهيم، 1999).

وأما من لم يؤمن بالمهدية وخضع لسلطتها بعد المعركة، فإن محمد المهدي عاملهم بطريقة مختلفة، مثال عليها المعاملة التي لقيها سكان الخرطوم بعد سيطرة أنصار المهدي على المدينة، فقاموا بقتل الكثير من الذكور من أبناء العائلات القبطية، وتركوا النساء، واستهدفوا أبناء قبيلة الشايقية، لأنهم كانوا موالين للقوات الحكومية، فكان أي منهم يظهر في مدينة الخرطوم يُقتل فوراً، واستمر هذا الحال لمدة ثمانية أيام من احتلال مدينة الخرطوم، وعذب أنصار المهدي العبيد في مدينة الخرطوم حتى يدلوهم على أماكن الأموال التي أخفاها أسيادهم قبل سيطرة الأنصار على المدينة، وأما النساء فقد أصبحن ملك بيت مال المهدي (أورفالدر، 2015).

وبعد أن تم مصادرة أموال سكان الخرطوم، وسبيت نسايتهم، وقاسوا العذاب، ومنعوا من العمل والكسب، واستقرت الأوضاع في الخرطوم، سمح المهدي لهم بمبايعته، وكتب لهم منشوراً ضمنه التأكيد على أن كل ما صودر من أموالهم لا سبيل لهم في

¹² نوبار باشا (1824-1899): أول رئيس نظار في مصر، وتولى هذا المنصب ثلاث مرات كان أولها في العام 1878، وارتبط تعيينه في المنصب بالمباحثات المصرية البريطانية حيال القروض المصرية، وكان له دور كبير في إدخال العناصر الأجنبية في مجلس النظار المصري (رزق، 1975).

استعادته (فوزي، 1902).

والتعامل مع مخالفتي المهدي بهذه الطريقة لم يكن حالة خاصة بأهل الخرطوم، فقد سبق أن تعامل أنصار المهدي مع أهالي قرية أبو حران، وقرية أسحف، بمثل هذه الطريقة، يقول الكردفاني عن حال أهل أسحف: "وأحاطوا بهم من كل جهة وأشعلوا النيران على بيوتهم فصارت النساء والصبيان والبهايم يصيحون صيحة واحدة هائلة، فكان يوماً مشهوداً من كثرة البكاء والصراخ وشاهدوا من الأحوال ما يعجز عنه الوصف، فعند ذلك تمكنوا منهم وقتلهم قتلاً ذريعاً ولم ينج منهم إلا الهارب الملتجئ بقرية بارة" (الكردفاني، 1982).

ورواية الكردفاني عن أهل أسحف ينقلها من منطلق المفارقة بأعمال المهدي في سطوتها وتعاملها مع مخالفتيها في وقت عظمتها، وهي في الحقيقة شاهد على قسوة وعنف الحركة المهدي في تعاملها مع مجتمع يدين بالإسلام، وأن حدود الخلاف بينهما خلاف محدود في إتباع طريقة دون أخرى، في إطار نفس الديانة، وشهادة الكردفاني هذه تكرر مثلاً كثيراً في رواياته لأحداث ومعارك الحركة المهدي عند دخولها للمدن والقرى، ووصفه في عامة هذه الروايات يكاد يكون أكثر قسوة من وصف من كتب عن بطش الحركة المهدي، ممن كان أسيراً في أم درمان من الأجانب، كسلاطين، وأورفالدر.

المواجهات بعد سقوط الخرطوم: بعد سيطرة الحركة المهدي على الخرطوم، توفي محمد المهدي في 22 / 6 / 1885، وحدث اضطراب في عاصمة الدولة أم درمان، حيث أدرك أنصاره حينها أن ادعائه بالمهدي لم يكن حقيقياً (أورفالدر، 2015)، ولتدارك الأمر والمحافظة على انجازات الحركة المهدي، تولى الخلافة الخليفة عبدالله التعايشي (شبيكة، 1963)، الذي اتسمت فترة حكمه بنوع من الاضطرابات الداخلية، نتيجة تدمير قبائل وادي النيل، وخصوصاً آل الشريف، التي ينتسب إليها أقرباء المهدي، من سياسة الخليفة عبدالله التعايشي التي اتجهت إلى توسيع نفوذ قبائل كردفان التي ينتمي إليها الخليفة، على حساب مصالحهم ونفوذهم، ومن خلال ترحيله أعداداً كبيرة من قبائل الغرب السوداني إلى أم درمان والإنفاق عليهم من بيت المال (Churchill, 1902).

ولضمان سيطرته الخليفة عبدالله التعايشي على الجيوش وضمان ولائها له، فقد جرد الخليفة محمد شريف، والخليفة علي ود حلو من سلطاتهم، وجعل قيادة القوات التابعة لهم تحت إمرة أخيه يعقوب، الذي أصبح مستشاره الأول والقائد العام للجيش، وعين في المناصب المهمة أقاربه وأعوانه المخلصين، وعين ابنه عثمان شيخ الدين قائداً لفرقة الجهادية النظامية، وشكل حرساً خاصاً له، سماه الملازمية (عبدالرحمن، 1979).

وفي مسعاه لمواصلة مشروع الحركة المهدي وجه كل طاقات وجهود الحركة للسيطرة على باقي مناطق وادي النيل، ومنطقة سواكن على ساحل البحر الأحمر، ووادي حلفا على الحدود مع مصر، وقاموا بالقضاء على حركات المعارضة الداخلية التي تمردت على دولته (لوتسكي، 2000).

ومن جانب آخر، واجه السودانيون تهديدات التدخل الفرنسي والإيطالي والبلجيكي في بلادهم، فالفرنسيين كانوا يهدفون من وراء تدخلهم في السودان إجبار بريطانيا على الجلاء عن مصر، أما الإيطاليون فكان لهم مطامع إقليمية في مدينة كسلا الواقعة بالقرب من الحدود مع الحبشة (أثيوبيا) وما حولها (شبيكة، 1963)، وتمكنت بريطانيا في مطلع شهر يونيو/ حزيران 1884 من توقيع معاهدة هيويت Hewett مع الحبشة، والتي تضمنت في بنودها تعهد ملك الحبشة جون الرابع (Yohannes IV 1831- 1889) بالمساعدة في إجلاء القوات الحكومية المصرية المتمركزة في جنوب السودان بالقرب من الحدود الغربية للحبشة، وتضمنت المعاهدة أيضاً ضمان ملك الحبشة لتسهيل التجارة عبر ميناء مصوع على البحر الأحمر، ومن هنا وجد الجيش الحبشي نفسه متورطاً مع قوات الحركة المهدي (Hersch, 2009)، وشن البلجيكيون حملة على أراضي الدولة المهدي، عام 1894، بعد عقدتهم اتفاقية مع الانجليز، بشأن توزيع مناطق النفوذ في أعالي النيل الأبيض، وتضمنت الاتفاقية أن تقوم بريطانيا بتأجير مديرية خط الاستواء في السودان لجمعية الكونغو البلجيكية (لوتسكي، 2000).

ومع مطلع العام 1887 إلى نهاية العام 1889، توترت العلاقات بين الحركة المهدي والحبشة، وتطورت إلى حروب بين الجارتين، وأخذت ملامح الحروب تصطبغ بالصبغة الدينية - مسيحية إسلامية - (Bashier, 2011)، وخصوصاً أن ملك الحبشة جون الرابع كان يتبع سياسة التنصير ويفرضها على المسلمين والأثنيين في الحبشة (Hersch, 2009)، ومن الأسباب المهمة التي أدت إلى هذه المواجهات هي محاولة كل من الخليفة عبدالله التعايشي، وملك الحبشة جون الرابع، إشغال الشعبين بنزاع خارجي يصرفهما عن النزاع الداخلي، وبدأت المواجهات حين قام الأحباش باحتلال مدينة القلابات السودانية، ودمروها، وقتلوا رجال حاميتها، فأرسل الخليفة عبدالله التعايشي الأمير يونس لاستعادة مدينة القلابات، ولما وصل الأمير يونس بجيشه إلى مدينة

القلابات هاجم الأحباش الموجودين بالسوق، وقتل كل من قاوم منهم الجيش، وأسر عدداً كبيراً منهم، وأرسلهم كعبيد إلى أم درمان، وبعد هذه الأحداث استعد الأحباش وقوات الخليفة لخوض حرب جديدة، ووصل عدد أفراد جيش أنصار الحركة المهدية (60000) رجلاً، بقيادة الأمير حمدان أبو عنجة، وكانت المواجهات في تموز/يوليو 1887، هزم فيها الملك جون الرابع، وفي العام 1889 توفي الأمير أبو عنجة، وتسلم قيادة جيش الحركة المهدية الأمير الزاكي طمل، وفي آذار/مارس 1889 تجددت المواجهات بين الطرفين، وقتل الملك جون الرابع في المعركة، وأرسل جسده للخليفة في أم درمان (نيلاند، 2002).

ومن أبرز التحركات العسكرية التي قامت بها الثورة المهدية هي محاولتها مهاجمة الأراضي المصرية، فقد تحركت من دنقلا حملة عسكرية، بقيادة الأمير عبدالرحمن النجومي في 3/5/1889، وكانت توجيهات الخليفة عبدالله التعايشي تأمر بتوفير المؤن والمعدات اللازمة لتموين حملة النجومي العسكرية، وطلب من عماله في المنطقة إلحاقها ببقية السرايا، وكتب لأهالي دنقلا والشايقية، والجعليين، يحثهم على الجهاد والانضمام لحملة النجومي (عبدالرحمن، 1979).

وخلال ثلاثة أشهر من انطلاق الحملة العسكرية بقيادة النجومي والمتوجه صوب الأراضي المصرية إلى منطقة توشكي الواقعة شمال وادي حلفا، وصل هذا الجيش المكون من مقاتلين يفنقرون للتنظيم والتدريب العسكري، والمسلحين بأسلحة بدائية من بنادق قديمة، وسيوف وخناجر، ودخل في مواجهة مع القوات النظامية الحكومية، التي كان يقودها ضباط بريطانيين، ومسلحة تسليحاً حديثاً، ومزودة بكل ما تحتاجه من مؤن وتجهيزات عسكرية، وتطبق في حربيها أحدث الفنون الحربية، وأسفرت نتيجة المعركة عن قتل النجومي، وهزيمة جيشه، وكانت نتائج هذه الهزيمة قاسية على الدولة المهدية، التي بدأت تفقد سيطرتها على مناطق السودان الشمالية، وكشفت مدى ضعف الإمكانيات العسكرية للدولة المهدية، وشجعت عدداً كبيراً من أعيان شمال وشرق السودان على إرسال عرائض وخطابات للحكومة المصرية أبدوا فيها طاعتهم للخديوي توفيق، ورغبتهم أن تتدخل القوات المصرية لاستعادة السودان (عبدالرحمن، 1979).

الخاتمة

كان للعوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية دور كبير ومؤثر في قيام الثورة المهدية في السودان، وأخر حزيران/يونيو 1881، وطبيعة المجتمع السوداني البسيطة، وميوله الصوفية في الجانب الاعتقادي والديني، شكلت بيئة مناسبة لأن يقدم محمد أحمد بن عبدالله نفسه على أنه المهدي المنتظر، الذي سينقذ السودان من سلطة الحكم التركي والإدارة المصرية، ويجدد الدين.

وكان اتخاذ محمد أحمد بن عبدالله الدين وسيلة لجمع السودانيين حوله، ليواجه بهم حكومة البلاد، أثاراً مهمة في نجاح ثورته، حيث تمكن من جمع أعداداً كبيرة تناصره وتتبع له، وتمكن من خلال توجيههم أن يجبر الحكومة المصرية على الخروج من السودان، بعد أن كبدها خسائر كبيرة في الجنود والتجهيزات العسكرية، التي استولى عليها منهم خلال انتصاراته التي توالى عليهم، منذ مواجهته الأولى مع حملة محمد أبو السعود في شهر آب/أغسطس 1881، وما تلاها من مواجهات، وأسفرت عن إبادة حملة حاكم فاشودة في تشرين أول/أكتوبر 1881، وسيطرته على الأبيض في كانون ثاني/يناير 1883، وإبادة حملة هكس في 5/11/1883، والسيطرة على الخرطوم في 23/1/1885.

وأصبحت السودان تحت حكم جديد، يستند لقواعد وأحكام الشريعة الإسلامية، التي يفسر قواعدها وأصولها محمد المهدي، الذي تتلمذ على يد شيوخ الطرق الصوفية. فكانت البداية لصياغة نظام الحكم في الحركة المهدية مع مفهوم المهدية ذاتها وما يستلزم الإيمان بها من طاعة وتسليم لأوامر المهدي، ومن ثم تكونت جماعة التفت حوله، وأمنت بدعوته، فسميت جماعة الأنصار، وهذا التلاقي بين محمد المهدي ومن يناصره، استوجب وجود ميثاق ملزم بين محمد المهدي وأنصاره للدفاع والحماية، فكان لابد من تبلور مفهوم تعاقدية عرف بالبيعة للمهدي، وللوقوف بوجه أعداء الدعوة المهدية لابد من الجهاد، وهكذا وظفت المصطلحات السياسية الإسلامية، وواكبت تطور الأحداث التي عاصرتها الحركة المهدية، لتضفي عليها صفة الحركة الدينية التي تسعى لإحياء الدين في النفوس وإعادة الأمة لحالها القويم.

ومع التطور القائم على انتشار أتباع المهدية وخضوع نواحي كبيرة من المناطق السودانية لسيطرة الحركة المهدية وجد المهدي أن نجاح دعوته والاستمرار بها يتطلب أن تكون القيادة مفوضة ومسؤولة أمام الله عن أعمالها وأعمال عمالها، ولابد لها من إشراك القبائل في الحكم، ولابد من تشكيل جيش فدائي تكون عقيدته العسكرية مبنية على إحياء الإسلام في نفوس الناس، وتحرير البلاد الإسلامية من السيطرة الخارجية.

ولما كان فقه الإمامة يشكل أحد أهم الأركان التنظيمية في الحركة المهدية، فقد أسس المهدي نظام حكم يستند لنظرية

الخلافة، التي تعطي صلاحيات واسعة للخليفة، وعين ثلاثة خلفاء له سماهم الخلفاء الراشدين، وعين أمراء وعمال ونواب وأمناء، وعين قاضياً لقبه قاضي الإسلام، وشكل مجلس أمناء، وعين نواباً للشرع، للنظر في أمور الناس، وإقامة الأحكام الشرعية. ومن طرف آخر ساعدت الظروف الإقليمية والدولية في أن يستقر حكم الحركة المهدية في السودان، بقيت خلالها السودان منغلقة على نفسها، ولم تستطع أن تتفهم السياسة الدولية، وتبني لها علاقات خارجية تخدم مصالحها، بل أخذت تفكر في غزو الأراضي المصرية، من خلال إرسالها حملة عسكرية في 3/5/1889، بقيادة عبد الرحمن النجومي، أدى فشلها إلى ظهور مؤشرات تفكك الدولة المهدية، إذ بدأ الوجهاء وزعماء القبائل في شمال السودان وشرقه، يرسلون برقيات الولاء للخديوي توفيق يطالبونه بتخليصهم من الحركة المهدية، والانضمام لرعيتة.

المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية:

- إبراهيم، إ، (1999)، الحريات الدينية في دولة المهدية بالسودان، مجلة دراسات إفريقية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، ع(21)، ص 29-43.
- إبراهيم، ح، (1987)، الفكر السياسي عند مهدي السودان، مجلة دراسات إفريقية، مركز البحوث والدراسات الإفريقية، جامعة إفريقيا العالمية، الخرطوم، ع(3)، ص 7-19.
- أمين، أ، (1951)، المهدي والمهدية، القاهرة: دار المعارف.
- أورفالد، ج، (2015)، عشر سنوات من الأسر في معسكر المهدي، ط(2)، ترجمة: عوض احمد الصو، الخرطوم: مطبعة التمدن المحدودة.
- حسين، ع، (2013)، السودان من التاريخ القديم إلى رحلة البعثة المصرية، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.
- دقنة، ع، (1974)، مذكرات عثمان دقنة، تحقيق: محمد إبراهيم أبو سليم، الخرطوم: دار التأليف والترجمة والنشر.
- رزق، ي، (1975)، تاريخ الوزارات المصرية 1878-1953، القاهرة: مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية في الأهرام.
- الزركلي، خ، (1980)، الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، ط(5)، بيروت: دار العلم للملايين.
- سلاطين، ر، (1999)، السيف والنار في السودان، ترجمة: جريدة البلاغ، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- السلطاني، ر، (2019)، المياه والنفط ومشكلة جنوب السودان، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، عمان، 46 (2)، ص 347-361.
- سمرنوف، س، (1994)، دولة المهدية من وجهة نظر مؤرخ سوفيتي، ترجمة: هنري رياض، بيروت: دار الجيل.
- شبيكة، م، (1991)، السودان عبر القرون، بيروت: دار الجيل.
- شبيكة، م، (1978)، السودان والثورة المهدية، الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر.
- شبيكة، م، (1963)، مختصر تاريخ السودان الحديث، القاهرة: معهد الدراسات العربية العالمية.
- شكير، ن، (1981)، تاريخ السودان، تحقيق: محمد إبراهيم أبو سليم، بيروت: دار الجيل.
- شليبي، ع، (1979)، الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته، القاهرة: دار المعارف.
- أبو شوك، م، (2015)، الإستراتيجية العسكرية للإمام المهدي في السودان (1881-1885)، المرتكزات والمتغيرات، مجلة أسطور للدراسات التاريخية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ع(2)، ص 124.
- الصاوي، ع، وجادين، م، (1990)، الثورة المهدية في السودان: مشروع رؤية جديدة، بيروت: الفارابي للنشر والتوزيع.
- ضرار، ص، (1968)، تاريخ السودان الحديث، ط(4)، بيروت: دار مكتبة الحياة.
- عبد الرحمن، ع، (1979)، توشكي: دراسة تاريخية لحملة عبدالرحمن النجومي على مصر، الخرطوم: دار جامعة الخرطوم للنشر.
- عبد الرحيم، ف، (2011)، معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، دمشق: دار القلم.
- العفيفي، ع، (2000)، موسوعة 1000 مدينة إسلامية، بيروت: أوراق شروقية.
- عليان، ع، البولادي، ح، (2017)، العلاقة بين المنهج الإداري في السنة النبوية والمناهج الإدارية الحديثة دراسة تطبيقية مقارنة على السيرة النبوية وفترة الإمام المهدي، مجلة جامعة السودان المفتوحة، جامعة السودان المفتوحة، الخرطوم، عدد (6)، ص 117-136.
- فاضل، ص، وصالح، س، (2019)، انفتاح التأمل ونشوة الإشراق بين ابن عربي وعبد الوهاب البياتي، مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجامعة الأردنية، عمان، 46 (2)، ص 555-564.
- فضل الله، ع، (1994)، العبور بالعودة للجذور دراسة في السلوك التنظيمي للدولة المهدية، ط(2)، الكويت: دار الكتاب الحديث.
- فوزي، إ، (1902)، السودان بين يدي غردون وكنتشر، القاهرة: مطبعة الآداب والمؤيد.

- القدال، م، (1985)، الإمام المهدي: محمد بن عبدالله 1844-1885 لوحة لثائر سوداني، الخرطوم: مطبعة جامعة الخرطوم.
- القدال، م، (1972)، المهدية والحيشة، الخرطوم: دار التأليف والترجمة والنشر جامعة الخرطوم.
- الكردفاني، إ، (1982)، سعادة المستهدي بسيرة الإمام المهدي، تحقيق محمد إبراهيم أبو سليم، بيروت: دار الجيل.
- كولينز، ر، (2015)، تاريخ السودان الحديث، ترجمة: مصطفى الجمال، مصر: مكتبة الأسرة.
- الكليالي، ع، (1990)، موسوعة السياسة، ج (2)، ط(2)، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- لوتسكي، ف، (2000)، تاريخ الأقطار العربية الحديث، ط(9)، بيروت: دار الفارابي.
- مكاوي، ه، (2007)، البناء الاجتماعي للمهدية في السودان، القاهرة: مكتبة مدبولي.
- منشورات المهدية، (1969)، تحقيق: محمد إبراهيم أبو سليم، الخرطوم: (د.ن.).
- المهدي، ص، (1975)، يسألونك عن المهدية، بيروت: دار القضايا.
- ميخائيل، ي، (2004)، مذكرات يوسف ميخائيل، تحقيق أحمد إبراهيم أبو شوك، أم درمان: مركز عبدالكريم ميرغني الثقافي.
- نيلاندز، ر، (2002)، حروب المهدية، ترجمة: عبدالقادر عبدالرحمن، أبو ظبي: مطابع الوحدة.
- هولت، ب، (1978)، المهدية في السودان، ترجمة: جميل عيد، بغداد: دار الفكر العربي.
- يحيى، ج، (1959)، الثورة المهدية وأصول السياسة البريطانية في السودان، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.
- ثانياً: المراجع الأجنبية:
- Bashier, S. (2011), Ethiopia and The Neighbours Power and Conflicts (1885-1899)
- Churchill, W. (1902), **The River War**, Longmans, Green, and Co, London, New York , Bombay, p 73.
- Colborne, H. (1885), **With Hicks Pasha in the Soudan being an account of the Senaar campaign in 1883**, E(2), London: Smith Elder, & Co.
- Cromer E. (1916), **Modern Egypt**, Macmillan Company, New York.
- Hersch, I. (2009), Confronting a Christian Neighbor: Sudanese Representations of Ethiopia in the Early Mahdist Period, p 1885-89. **International Journal of Middle East Studies**, Cambridge University Press (CUP), 41 (2), 247-267.
- Murad, H. (1978), The Mahdist Movement in the Sudan, **Islamic Studies**, Islamic Research Institute, International Islamic University, 17(3), p 155-184.
- Rossi, R. (1994), **The Mahdist Revolution**, Fort Leavenworth, Kansas.
- Sharkey, H. (2012). **Jihads and crusades in Sudan from 1881 to the present**. In S. H. Hashmi (Eds.), Just wars, holy wars, and jihads: Christian, Jewish, and Muslim encounters and exchanges (263-282). Oxford University Press: Oxford.
- Viera, P. (2007). Christian missions in Africa and their role in the transformation of African societies. **Asian and African studies**, 16(2), 249-260.
- Abdulrahman, A. (1979), **Toshka: A Historical Study of the Campaign of Abdulrahman Al-Najumi on Egypt**, (in Arabic), Khartoum: University of Khartoum Publishing House.
- Abdulrahim, F. (2011), **Dictionary of the Dakhil in Modern Arabic and its dialects**, (in Arabic), Damascus: Dar Al-Qalam.
- Al-Afifi, A. (2000), **Encyclopedia of 1000 Islamic Cities**, (in Arabic), Beirut: awraq shiruqia.
- Alyan, A & Alboaldi H. (2017), The relationship between the administrative approach in the Sunnah and the modern administrative methods A comparative applied study on the Biography of the Prophet and the period of El- Imam El-Mahdi, (in Arabic), **Journal of Open University of Sudan**, Open University of Sudan, Khartoum, 6, P 117- 136.
- Amin, A. (1951), **Mahdi and Mahdia**, (in Arabic), Cairo: Dar Al Ma'arif.
- Bashier, S, (2011), Ethiopia and the Neighbors Power and Conflicts (1885-1899), **Journal of African Studies**, Research Center for African Studies, International University of Africa, Khartoum, 47, p 19- 35.
- Chalabi, A. (1979), **the Intellectual Origins of the Sudanese Mahdi Movement and its Call**, (in Arabic), Cairo: Dar Al Ma'arif.
- Collins, R. (2015), **A History of Modern Sudan**, Translated: Mustafa El Gammal, (in Arabic), Egypt: Family Library.
- Churchill, W, (1902), **The River War**, Longmans, Green, and Co, London, New York , Bombay, p 73.
- Colborne, H.(1885), **With Hicks Pasha in the Soudan being an account of the Senaar campaign in 1883**, E(2), London: Smith Elder, & Co.
- Cromer E, (1916), **Modern Egypt**, Macmillan Company, New York.
- Darar, S. (1968), **Modern History of Sudan**, Edition (4), (in Arabic), Beirut: dar maktabat alhayaat.

- Dokneh, O. (1974), **memoirs of Othman Dokneh**, (in Arabic), investigation: Mohamed Ibrahim Abu Salim, Khartoum: House of authorship translation and publishing.
- Fadil, S & Saleh, S. (2019), The Openness of Meditation and The Ecstasy of Brightness, (in Arabic), **Dirasat: Human and Social Sciences**, University of Jordan, Aman, 46 (2), p 555- 564.
- Fadlullah, A. (1994), **Crossing back to the roots study in the organizational behavior of The Mahdia state**, (in Arabic), E (2), Kuwait: dar alkitab alhadith.
- Fawzi, I. (1902), **Sudan in the hands of Gordon and Kitchener**, (in Arabic), Cairo: Press aladab walmuiyid.
- Hersch, I. (2009), Confronting a Christian Neighbor: Sudanese Representations of Ethiopia in the Early Mahdist Period, 1885-89. **International Journal of Middle East Studies**, Cambridge University Press (CUP), 41 (2), p.247-267.
- Hult, P. (1978), **The Mahdia in the Sudan**, Translated: Jamil Eid, (in Arabic), Baghdad: Dar al-Fikr al-Arabi.
- Hussein, A. (2013), **Sudan From Ancient History to the Trip of the Egyptian Mission**, (in Arabic), Cairo: Hindawi Foundation for Education and Culture.
- Ibrahim, H. (1987), **Political Thought at Mehdi Sudan**, (in Arabic), Journal of African Studies, Research Center for African Studies, International University of Africa, Khartoum, 3, p7- 19.
- Ibrahim, I. (1999), Religious Freedoms in the State of Mahdia Sudan, (in Arabic), **Journal of African Studies**, Research Center for African Studies, International University of Africa, Khartoum, 21, p29- 43.
- Al-kardafani, E. (1982), **saeedat almustahadi basirat al'imam almahdi**, investigation: Mohamed Ibrahim Abu Salim, (in Arabic), Beirut: Dar al-Jil.
- Kiali, A. (1990), **Encyclopedia of Politics**, P (2), E (2), (in Arabic), Beirut: Arab Institute for Research & Publishing.
- Lutsky, V. (2000), **Modern History of the Arab Countries**, E (9), (in Arabic), Beirut: Dar Al-Farabi.
- Al-mahdi, S. (1975), **yas'alunak ean almahdiati**, (in Arabic), biuruta: dar alqudaya.
- Makkawi, H. (2007), **Social Construction of Mahdia in Sudan**, (in Arabic), Cairo: Madbouli Library.
- Manshuirat almahdia**. (1969), investigation: Mohamed Ibrahim Abu Salim, (in Arabic), Khartoum: (Without a publisher).
- Mikhail, Y. (2004), **Memoirs of Yousef Mikhail**, investigation: Ahmad Ibrahim Abu Shouk, (in Arabic), Omdurman: Abdul Karim Mirghani Cultural Center.
- Murad, H. (1978), The Mahdist Movement in the Sudan, **Islamic Studies**, Islamic Research Institute, International Islamic University, 17(3), p 155-184.
- Neillands, R. (2002), **The Dervish Wars**, Translated: Abdul Qader Abdulrahman, (in Arabic), Abu Dhabi: mutbaeat alwahda.
- Ohrwalder, J. (2015), **Ten Years' Captivity in the Mahdi's Camp 1882-1892**, (in Arabic), Edition (2), Translated: Awad Ahmed Al-Dou, Khartoum: Al-Tamdan Press Ltd.
- Al-Qadal, M. (1985), **Imam Mahdi: Muhammad bin Abdullah 1844-1885 Panel of the Sudanese revolution**, (in Arabic), Khartoum: Khartoum University Press.
- Al-Qadal, M. (1972), **Mahdia and Habashah**, (in Arabic), Khartoum: House of authorship translation and publishing.
- Rizk, Y. (1975), **History of Egyptian Ministries 1878-1953**, (in Arabic), Cairo: Al-Ahram Center for Political and Strategic Studies.
- Rossi, R. (1994), **The Mahdist Revolution**, Fort Leavenworth, Kansas.
- Samranov, S. (1994), **The State of Mahdia from the Point of View of a Soviet Historian**, (in Arabic), Translated: Henry Riad, Beirut: Dar al-Jil.
- Al-Sawy, A. & Jadin, M. (1990), **The Mahdia Revolution in Sudan**, (in Arabic), Beirut: Al-Farabi for Publishing and Distribution.
- Shaqir, N. (1981), **History of the Sudan**, (in Arabic), investigation: Mohamed Ibrahim Abu Salim, Beirut: Dar aljayl.
- Sharkey, H. (2012). **Jihads and crusades in Sudan from 1881 to the present**. In S. H. Hashmi (Eds.), Just wars, holy wars, and jihads: Christian, Jewish, and Muslim encounters and exchanges (263-282). Oxford University Press: Oxford.
- Shubikeh, M. (1991), **Sudan over the centuries**, (in Arabic), Beirut: Dar alajyal.
- Shubikeh, M. (1978), **Sudan and the Mahdia Revolution**, (in Arabic), Khartoum: University of Khartoum Publishing House.
- Shubikeh, M. (1963), **a brief history of modern Sudan**, (in Arabic), Cairo: Institute of Arab Research and Studies

- Abu Shouk, A. (2015), The Military Strategy of the Mahdi in Sudan (1881 - 1885), (in Arabic), **Astor Magazine of Historical Studies**, Doha: the Arab Center for Research and Policy Studies, 2, p 120- 138.
- Slatin, R. (1999), **Fire and Sword in the Sudan**, (in Arabic), Translated: Al - Balagh Newspaper, Cairo: General Egyptian Book Organisation.
- Sultani, R. (2019), Water and Oil and Problem of the South of Soudan, (in Arabic), **Dirasat: Human and Social Sciences**, University of Jordan, Aman, 46 (2), p 347- 361.
- Viera, P. (2007). Christian missions in Africa and their role in the transformation of African societies. **Asian and African studies**, 16(2), 249-260.
- Yahya, J. (1959), **The Mahdia Revolution and the Origins of British Politics in Sudan**, (in Arabic), Cairo: maktabat alnahdat almsriat.
- Al-Zarkali, Kh. (1980), **Al'Aelam**, (in Arabic), Beirut: Dar El Ilm LilMalayin.

The Evolution of the Organizational Elements of the Mahdia Movement During its Control of Sudan (1881-1889)

*Kayed Krayyem AL-Rkibat, Ibrahim Faour Al Shraah**

ABSTRACT

The main reason for preparing this study is searching in the organizational Elements adopted by the Mahdia movement in order to administer its internal affairs. To achieve this goal, the study relied on the historical research approach, through which it can benefit from sources and references and helps to analyze the stories and events throughout the study. The study concluded that the movement, represented by its chief, Mohammed Al-Mahdi, managed to employ the Sufi side of its supporters' faith to formulate the governing laws of relations between individuals and the movement. Moreover, the movement employed the Islamic political concepts, related to the establishment of the state, to serve their goal. As a consequence, the movement gained a significant support by a large section of the Sudanese society. Hence, these people put all their energies to support the movement and achieve its major objectives which were liberating the country from foreign domination and revitalizing Islamic feelings among individuals.

Keywords: Mahdia, Sudan, Mohammed Al-Mahdi, organizational elements . Alkhartoom, Egyptian Rule.

* Department of History, Faculty of Arts, The University of the Jordan.

Received on 16/9/2018 and Accepted for Publication on 28/7/2019